مجلة المنار

المجلد الخامس

الجزء الحادي عشر والثاني عشر

إهداء من

تابعوا ...

طبعة دار الوفاء
للطباعة والنشر

WWW.ALUKAH.NET

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ — ٤ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢)

الاضطهاد في النصرانية والإسلام

(المقالة الثانية لذلك الاستاذ الحكيم والفيلسوف العليم)

ذكرت الجامعة في الجزء الثامن من السنة الثالثة في سياق الكلام على ما جرى لابن رشد ان للناس آراء في :هل الدين المسيحي أوسع صدرا في احتماله مجاورة العلم والفلسفة او ان الدين الاسلامي هو الارحم خلقا والاوسع حلما من الدين المسيحي في قبول أهل النظر في الكون اذا نزلوا بداره ، ولاذوا بجواره ، وذكرت أن للقائلين بتسامح الدين المسيحي مع العلم وأهله دون الدين الاسلامي أن فولتير وديدرو وروسو ورنان قالوا فيما يضاد الدين ما قالوا ولم يصابوا بضرر وابن رشد لم يقل شيئاً سوى انه قرر ما قال أرسطو واوضحه مع تصريحه بسلامة اعتقاده ومع ذلك اهين وبصق على وجهه . وللقائلين بسعة حلم الاسلام ان الاسلام لم يحكم بإحراق احد لمجرد الزيغ في عقيدته وكم حكمت المسيحية بذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم جعلت أهل الرأي الأول آخر من يتكلم وقالت : « فيرد عليهم الأولون بقولهم : هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط أم مع القريب والغريب معاً ؟ ثم الا تذكرون الحروب والفتن التي قامت بين شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فأضعفت امتهم، وفرقت كلمتهم، فهل يجوز ان تسموا محاربة شخص واحد وإعدامه (محاربة للإنسانية) ولا تسموا كذلك محاربة شعب لشعب وأمة لأمة » اهـ

ثم قالت الجامعة إنها لا تفصل بين القولين، ولكنها فصلت فيهما فصلين، الأول في قولها : « إنا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة الدينية بحكم الشرع لأن الحاكم العام هو حاكم وخليفة معاً وبناء على ذلك فان التسامح يكون في هذه الطريقة أصعب منه في الطريقة المسيحية فان الديانة المسيحية قد فصلت بين السلطتين فصلاً بديعاً بدلالة المسيح الحضارة الحقيقية والتمدن الحقيقي وذلك بكلمة واحدة : أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا تركت للسلطة الدينية مجالا للضغط على حرية الأفراد من أجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلا عن قيامها وسقي الارض بدمائهم البريئة فانها تجني جناية هائلة على الانسانية وعلى ذلك لا يكون في هذه الطريقة من التسامح أكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص ولو كان هذا النقص أخذ من نقص شقيقتها الا انه لا نقص أعظم من نقص القادر على التمام » والفصل الثاني في قولها : « ان العلم والفلسفة قد تمكنا الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نما ثمرهما في تربة اوربا وأينع وأثمر التمدن الحديث ولكنهما لم يتمكنا من التغلب على الاضطهاد الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً » اهـ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجواب الاجمالي

وإني أعجل في الجواب بما يلاقي هذين الحكمين اجمالا . أما الأول فان كان الانجيل فصل بين السلطتين بكلمة واحدة فالقرآن قد أطاق القيد من كل رأي بكلمتين كبيرتين لا كلمة واحدة . قال في سورة البقرة « لا إكراهَ في الدين قد تبيَّنَ الرشدُ من الغيّ فمَنْ يكفرْ بالطَّاغُوتِ ويؤمن بالله فقد استمسكَ بالعُرْوةِ الوُثْقَى لا انفصامَ لها والله سميعٌ عليم » وقال في سورة الكهف « وقل الحقُّ مِن ربكم فمن شاء فليُؤْمِنْ ومَنْ شاء فليَكفُرْ »

وأما الثاني فأسأل الجامعة في جوابه : اين الاضطهاد الواقع على العلماء اليوم عند المسلمين ؟ وأين اولئك العلماء المضطهدون ؟ وأريد بالعلماء اولئك الذين يساوون من ذكرتهم من فولتير وديدرو وروسو وامثالهم . وكيف ساغ لها ان تقول ما تقول وهي في ارض مصر ومصر بلاد اسلامية وحالها كما ترى ؟ فاذا أرادت شاهداً على حال المسيحية والعلم فلتمرَّ بنظرها اليوم على أسبانيا ولتقف برهة من الزمان ثم لتحكم . يمكنها ان تعد من طلبة العلوم المسلمين مئين في مدارس المسيحيين من جزويت وفرير وأميركان وهي مدارس دينية خصوصاً مدارس الجزويت . فهل يمكنني ان أجد طالبا واحداً مسيحيا في مدرسة دينية اسلامية يباح الدخول فيها لكل طالب علم من أي ملة ؟ لا نجد الا قليلا منهم في مدارس الحكومة لعلمهم انها مدارس رسمية لم يقم بناء تعليمها على الدين . فهل سمع ان والدا اضطُهِد لانه بعث بولده الى مدرسة مسيحية يديرها قسوس مسيحيون ؟ الا يعد هذا من تسامح الاسلام مع العلم اليوم ؟

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

لولا ان موضوع كلامي محدود باعتبار التسامح بالنسبة الى العلم والفلسفة وحدهما لذكرت لصاحب الجامعة أن يوجد فى بلاده طائفتان تعد آحادهما بالألوف وتزعم كل منهما ان لها نسبة الى الاسلام وهى تعتقد بالا ينطبق على أصل من أصوله حتى أصل التوحيد والتنزيه عن الحلول ولا تقول بفرض من فروضه المعلومة منه بالضرورة . وأجمع فقهاء الأمة على انهما من قبيلي المرتدين والزنادقة لا تؤكل ذبائح افرادهما ولا يباح لهم أن يتزوجوا من المسلمات وإنما اختلفوا فى قبول توبة من تاب منهم ومن العلماء من قال لا تقبل توبته . وهم مع ذلك عائشون بجوار المسلمين ومضى عليهم ما يزيد على تسعمائة سنة وقد كانوا تحت سلطان المسلمين والاسلام فى أوج القوة . دخلوا فى حكم الأتراك وهم أيام كان ملك فرنسا يستنجد بملكهم وكانت عساكرهم على أسوار فينا . كان أولئك الذين يراهم المسلمون قد خرجوا من دينهم وأسروا عقيدة تناقض عقيدتهم قد ظهروا باعمال تضاد أعمالهم وهم جيرانهم وتحت أيديهم وفى مكنتهم محوهم ومع ذلك عاشوا الى اليوم ولهم أحبة وأصدقاء بين المسلمين . وللمسلمين بينهم مصافون وأوداء فهل عهد مثل ذلك عن المسيحيين ؟

غير ان موضوع قولي محدود كما قلت فلا أخرج عنه وأراني نطقت فيه بكلمتي المجملة . ولكن لا يكفي لبيان ما عرضت به الجامعة فى قولها « هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط او مع القريب والغريب الخ » ولا لتحقيق الحق فيما حكمت به فى حكميها الا تفصيل تعرض فيه حالة الدينين مع العلم تحت نظر القارئ على وجه يمكن معه الحكم عن فهم ، ولا تلتبس فيه الحقيقة بالوهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الجواب التفصيلي

أرى الجامعة جاءت في كلامها باربعة أمور آتي بها على حسب ترتيب السؤال في تعبيرها . (الأول) ان المسلمين قد تسامحوا لأهل النظر منهم ولم يتسامحوا لمثلهم من أرباب الاديان الأخر (الثاني) ان من الطوائف الاسلامية طوائف قد اقتتلت بسبب الاعتقادات الدينية (الثالث) ان طبيعة الدين الاسلامي تأبى التسامح مع العلم وطبيعة الدين المسيحي تيسر لاهله التسامح مع العلم (الرابع) ان إيناع ثمر المدنية الحديثة إنما تمتع به الأوربيون ببركة التسامح الديني المسيحي . فلا بد لي من الكلام على كل واحد من هذه الأمور الاربعة وابتدئ منها بالثاني لقلة الكلام عليه

في القتال بين المسلمين لأجل الاعتقاد

لم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفيين (الآخذين بعقيدة السلف) والأشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة سلفيين وأشاعرة — كما لم يسمع بان الفلاسفة الاسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها . نعم سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج كما وقع من القرامطة وغيرهم وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد وإنما اشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة . ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة . وما كان من حرب بين الأمويين والهاشميين فهو حرب على الخلافة وهي بالسياسة أشبه بل هي أصل السياسة

نعم وقعت حروب في الازمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية وبين الحكومة العثمانية والوهابيين ولكن يتسنى لباحث بأدنى نظر ان يعرف انها كانت حروبا سياسية ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم مع بقاء الاختلاف في العقيدة وبين الحكومة العثمانية وابن الرشيد أمير الوهابيين

اما الحروب الداخلية التي حدثت بعد استقرار الخلافة في بني العباس وأضعفت الأمة وفرقت الكلمة فهي حروب منشأها طمع الحكام وفساد اهوائهم وحبهم الاستئثار بالسلطان دون سواهم . ومصدر ذلك كله جهلهم بدينهم وارتخاء حبل التمسك به في أيديهم . واكبر داء دخل على المسلمين في همهم وعقولهم انما دخل عليهم بسبب استيلاء الجهلة على حكومتهم . أقول « الجهلة » وأريد أهل الخشونة والفطرسة الذين لم يهذبهم الاسلام ولم يكن لعقائده تمكن من قلوبهم . ولو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ويأخذهم باحكامه لرأيتهم قد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين وما قرر الاولون وما اكتشف الآخرون في اليد الاخرى ذلك لآخرتهم وهذا لدنياهم وساروا يزاحمون الاوربيين فيزحمونهم

مالنا وللحكام نعرض لهم ؟ الذي عليّ ان أقول ولا أخشى منازعا : إنه لم تقع حرب معروفة بين المسلمين للحمل على عقيدة من العقائد أو على تركها . على ان هذا الأمر الذي جاءت به الجامعة والجأتنا الى الكلام فيه خارج عن الموضوع بالمرة لأن الكلام في التسامح الديني مع العلم لاني تسامح عقيدة مع عقيدة أو دين مع دين وإلا لأوردنا لها من حروب الطوائف المسيحية بعضها مع بعض وحروبها مع غيرها ما يستغرق أجزاء الجامعة بقية هذه السنة اذا أوجزنا ما استطعنا . هل أذكرها بما كان يقع

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في القسطنطينية من سفك الدماء بين الارثوذكس والكاثوليك على عهد الفياصرة الرومانيين ؛ هل أذكرها بحادثة برثلمى سنة ١٥٧٢ التي سفك فيها الكاثوليك دماء إخوانهم البروتستانت وأخذوهم في بيوتهم على غرة وقتلوهم نساء ورجالا وأطفالا . بماذا أذكر الجامعة من أمثال هذه الوقائع التي اسود لها لباس الانسانية ، وتسلبت لحدوثها البشرية ؟ هل يمكن لأحد أن يروي حادثة مثلها وقعت بين شعوب المسلمين بعضهم مع بعض لخلاف في العقيدة مهما عظم الاختلاف

معاملة المسلمين مع أهل العلم والفضل من كل ملة

ثم أرجع الى الأمر الاول من الامور الاربعة لأن الكلام عليه أول منه على الأمر الثالث . وانني لا أستدل على رعاية الاسلام للحكماء من الملل المخالفة بقول كاتب مسلم وإنما أرجع في جميع ما أذكر الى كتب المؤرخين والفلاسفة من المسيحيين وأذكر أسماء جماعة من المسيحيين وغيرهم بلغوا من الحظوة عند الخلفاء وعامة المسلمين وخاصتهم مالم يبلغه غيرهم

قال المستر درابر أحد المؤرخين وكبار الفلاسفة من الاميركان : « ان المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في معاملة أهل العلم من النصارى النسطوريين واليهود على مجرد الاحترام ، بل فوّضوا اليهم كثيراً من الاعمال الجسام ، ورقوهم الى المناصب في الدولة حتى ان هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسنيه » (هو يوحنا ابن ماسويه الشهير) وقال في موضع آخر : « كانت ادارة المدارس مفوضة مع نبل الرأي وسعة الفكر من الخلفاء الى النسطوريين تارة والى اليهود تارة أخرى . لم يكن ينظر الى البلد الذي عاش فيه العالم ولا الى الدين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الذي ولد فيه بل لم يكن ينظر الا الى مكانته من العلم والمعرفة. قال الخليفة العباسي الاكبر المأمون : « ان الحكماء هم صفوة الله من خلقه ونخبته من عباده لأنهم صرفوا عنايتهم الى نيل فضائل النفس الناطقة ورفعوا بقواهم عن دنس الطبيعة هم ضياء العالم وهم رؤساء قوانينه ولولاهم لسقط العالم في الجهل والبربرية » . وقال في موضع آخر : « ان العرب قد رضوا بجيش من أطبائهم اليهود ومؤدبي أولادهم من النسطوريين ففتحوا من مملكة العلم والفلسفة ما أتوا على حدوده بأسرع مما أتوا على حدود مملكة الرومانيين » . ولست في حاجة الى ذكر ما أسس الخلفاء والملوك من المدارس وأقاموا من المراصد وما حشدوا من الكتب الى المكاتب لأن هذا خارج عن بحثنا الآن وسيرد عليك شيء منه فيما بعد

طائفة من الحكماء والعلماء الذين حظوا عند الخلفاء بجاه

أذكر ممن اشتهر من الحكماء بالحظوة عند الخلفاء جيورجيس ابن بختيشوع الجنديسابوري طبيب المنصور كان فيلسوفا كبيرا علت منزلته عند المنصور لأنه كانت له زوجة عجوز لا تشتهي فاتفق عليه المنصور فعرض عليه ثلاث جوار حسان فردهن وقال : إني لا أستحي من الله أن أتزوج غير زوجتي ما دامت حية . فأعلى مكانته حتى عفى وزاد في وزنه ووسع له في أمر المنصور بحمله في الدواء فوضع به ما شاء بنفسه عن حمله في الحكيم في رحوته أن يدفن معه [illegible] حاجة فقال . رضيت أن أكون [illegible] بالامساك وكرز اليهودا [illegible]

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مدافن آبائه كما طلب . ثم سأله عمن يخلفه عنده فأشار الى عيسى بن شهلا تلامذته فأخذه المنصور . وكان جيور جيس فطفق يؤذي القسوس والبطارقة ويهددهم بمكانه عند الخليفة لينال منهم رغائبه فشعر الخليفة بذلك فطرده

وممن حظي عند المنصور نوبخت المنجم وولده أبو سهل وكانا فارسيين على مذهب الفرس ثم كانت ذرية مسلمة لأبي سهل وكانوا جميعاً منجمين لهم شهرة في علوم الكواكب فائقة

وممن حظي بالمكانة العليا عند الخليفة المهدي توفيل بن توما النصراني المنجم وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان . وله كتب في التاريخ جليلة ونقل كتاب أميروس الى السريانية بأفصح عبارة

وممن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بختيشوع الطبيب وجبريل ولده ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني . ولاه الرشيد ترجمة الكتب القديمة طبية وغيرها وخدم الرشيد ومن بعده الى المتوكل . وكان يعقد في داره مجلساً للدرس والمناظرة ولم يكن يجتمع في بيت للمذاكرة في العلوم من كل نوع والآداب من كل فن مثل ما يجتمع في بيت يوحنا بن ماسويه

وممن علا قدره في زمن المأمون يوحنا البطريق . ولى المأمون أقامه كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب والفلسفة . وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور وسابور ابنه وكانا نصرانيين . وولي سابور بن سهل بيمارستان جند يسابور

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند المعتصم ولما مات جزع عليه جزعا شديداً وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة النصارى

وكان بختيشوع بن جبريل عند المتوكل يوماً فأجلسه بجانبه وكان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

عليه دراعة حرير رومية بها فتق فأخذ المتوكل يحادثه ويعبث بالفتق حتى وصل الى النيفق (هو ما اتسع من الثوب) ودار الكلام بينهما حتى سأله المتوكل : بماذا تلمون أن الموسوس (المصاب بخبل فى عقله) يحتاج الى الشد ؟ فقال بختيشوع : اذا عبث بفتق دراعة طبيبه حتى بلغ النيفق شددناه . فضحك المتوكل حتى استلق

وفى أيام المتوكل اشتهر حنين بن اسحق النصراني العبادي وهو من أشهر المترجمين لكتب ارسطو وغيره وامتحن المتوكل صدقه فظهرت له عزيمة لا تفل فأقطعه اقطاعات واسعة . وكان قد عرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة فى زمن المأمون وهو فتى فكلفه بترجمة الكتب وكان يعطيه وزن مايترجم ذهباً . وكانت بينه وبين الطيفوري النصراني محاسدة أفضت الى طلب الحكم على حنين في مجلس الاساقفة بالحرم من الكنيسة فمات غماً لاضطهاد أهل طائفته له مع عزته وعلو قدره عند الخليفة وهذا الطيفوري أيضاً كان من المقربين عند الخلفاء

ومن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة والعامة في زمنه أيام خلافة الراضي متى بن يونس المنطقي النصراني النسطوري كان متفنناً في جميع العلوم العقلية أخذ عنه أبو نصر الفارابي وانتهت اليه الرياسة فى بغداد وكان من أهل دير قنى ونشأ فى مدرسة مارماري وقرأ على زوفائيل وبانيامين الراهبين اليعقوبيين .

ومن المقربين عند الخلفاء قسطا البعلبكي من فلاسفة دولة الاسلام وهو نصراني طلبه الخلفاء الى بغداد لأجل الترجمة ثم يحيى بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي انتهت اليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وقرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر الفارابي

ومنهم أبو الفرج بن الطيب فيلسوف عالم . قالوا كان كاتب الجاثليق ومتميزا في النصارى ببغداد وكان يقرئ صناعة الطب في البيمارستان العضدي وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا والرئيس يمدح طبه ولا يحمد فلسفته وله كلام فيه

وممن كانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والخاصة والعامة ثابت بن قرة الحرّاني الصابئ من طائفة الصابئين المعروفة وتربى في بيت محمد بن موسى بن شاكر الفلكي المشهور وبلغ في علوم الفلسفة مبلغاً لم يدانه فيه غيره وله تآليف كثيرة في المنطق والطب والرياضيات وبلغ عند المعتضد مقاماً تقدم فيه عنده على وزرائه . وولد ثابت هذا سنة احدى عشرة ومئتين بحرّان . ثم كان ابناه ابراهيم وسنان على قدم أبيهما . ومن حفدته أبو الحسن ثابت بن قرة . وكان ثابت وابراهيم وسنان صابئين ولهم من المنزلة ماعلمت ومدحهم كثير من شعراء المسلمين وهم صابئة

ماذا أعد للجامعة من الفلاسفة والحكماء من الملل المختلفة الذين وسمهم صدر الاسلام . ولم يضن عليهم بالرعاية والاحترام . هل تريد أن أتم لها الكلام بذكر كثير من فلاسفة الاسلام المسلمين الذين نالوا اسمى الدرجات وأعلى المقامات عند الخلفاء والملوك . هل أنا في حاجة الى ذكر فيلسوف الاسلام أبي يوسف يعقوب الكندي وهو بصري الاصل . ابن الامير اسحق الذي كان أميرا للمهدي والرشيد على الكوفة وهو من ذرية الاشعث بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان عالما بالطب والفلسفة والهيأة والحساب والموسيقى واشتغل بالترجمة كما اشتغل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

غيره بها فترجم كثيراً من كتب الفلسفة وأوضح الغامض منها وكانت له المكانة العليا عند المأمون والمعتصم وولده احمد . هل أنا في حاجة الى ذكر بني موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن الذين اشتغلوا في مساحة الكرة الأرضية ومعرفة محيطها وقطرها وما كان لهم من المنزلة عند الامراء والخلفاء ؟ أأذكر ابن سينا ومنزلته فى قومه ووصوله الى مسند الوزارة عند شمس الدولة ؟ أم أذكر الفارابي وما كان له من المكانة عند سيف الدولة بن حمدان .

لا ريب ان أبا العلاء المعري يصلح ان يكون رجلا ممن تعنى الجامعة بنشر تراجمهم وقد قال مالم يقل بمثله فولتير وروسو وقد مات مع ذلك على فراشه وقبره اليوم مزار يرحل اليه فى بلده

أظن انه يسهل بعد سرد ماعددناه أن يعرف قراء الجامعة ان الاسلام كان يوسع صدره للغريب كما يوسعه للقريب بميزان واحد وهو ميزان احترام العلماء للعلم . ويسهل عليّ ان التمس العذر للجامعة بأنها عندما كتبت ما كتبت تمثلت لها بعض حوادث قيل انها حدثت للدين وما حدثت له . بل كان سبب حدوثها اما سياسة خرقاء . أو جهالة عمياء . أو تأويث بعض السفهاء . لا أطيل خوف الاملال . وانتقل الآن الى الامر الثالث وهو المقابلة بين طبيعة الدينين وهو أهم مما سبق ومما سيلحق

طبيعة الدين المسيحي وأصوله

(تمهيد) ظنت الجامعة ان الدين المسيحي فصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية ولذلك كان فى طبيعته التسامح . أما الدين الاسلامي فمن أصوله ان السلطان ملك وخليفة ديني وذلك مما يصعب معه التسامح في رأيها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ليس هذا بكاف فى بيان طبيعة كل من الدينين واستعدادها للتساهل مع العلم أو مع أية عقيدة تخالفها بل لابد من بيان أركان الدين وأهم أصوله التى ترجع اليها جميع الفروع وعنها تصدر الآثار الحقيقية

عند النظر فى أيّ دين للحكم له أو عليه فى قضية من القضايا يجب أن يؤخذ ممحصاً مما عرض عليه من بعض عادات أهله أو محدثاتهم التي ربما تكون جاءتهم من دين آخر . فاذا أريد أن يحتج بقول أو عمل لاتباع ذلك الدين فى بيان بعض أصوله فليؤخذ فى ذلك بقول أو عمل أقرب الناس الى منشأ الدين ومن تلقوه على سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه

وانني أوجز القول فى ايراد الأصول الأولى التى وردت فى الاناجيل المعروفة الآن فى أيدي المسيحيين . وجاءت فى كلام أئمتهم الاولين . ثم ايراد ماجر اليه الأخذ بتلك الأصول بحكم طبيعة الدين

الاصل الاول للنصرانية الخوارق

أوّل أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عماد له هو خوارق العادات . تقرأ الاناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلا على صدقه الا ما كان يصنع من الخوارق وعددها فى الأناجيل يطول شرحه . ثم انه جعل ذلك دليلا على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لاصحابه ذلك كما تراه فى الاصحاح العاشر من انجيل متى وغيره . واذا تتبعت جميع ماقال الأولون من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات ، من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات . ولا يخفى أن خارق العادة هو الامر الذى يصدر مخالفاً لشرائع الكون ونواميسه . فاذا ساغ أن يكون ذلك لكل من علا كعبه فى الدين لم يبق عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

زاد الانجيل على هذا ان الايمان ولو كان مثل حبة خردل كاف فى خرق نواميس الكون كما قال فى الاصحاح السابع عشر من متي : « فالحق أقول لكم لوكان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينتقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » وفى الحادى عشر من مرقس « ٢٣ لأني الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح فى البحر ولا يشك فى قلبه بل يؤمن ان مايقوله يكون فمهما قال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كل ماتطلبونه حينما تصلون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم »

فكل بحث يؤدي الى أن للكون شرائع ثابتة وان للعلل والشرائط أو الاسباب أو الموانع أحكاما فى معلولاتها أو ماشرطت فيه أوما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضاداً لهذا الاصل فى أي زمن وقد كان كل علم من علوم الاكوان لابد فيه من هذا البحث فكل علم مضاد لهذا الاصل . ثم ان صاحب الاعتقاد بهذا الاصل لايحتاج الى البحث فى الاسباب والمسببات لأن اعتقاده فى الشيء ان يكون وارادته لأن يكون كافيان فى حصوله فهو فى غنى عن العلم والعلم عدو لما يعتقد فيما أصعب احتماله اذا جاء يزاحمه فى سلطانه

سقوط الاصل الثانى للنصرانية سلطة الرؤساء

وبعد هذا الأصل أصل آخر وهو السلطة الدينية التي منحت الرؤساء على المرؤسين فى عقائدهم وما تسكنه ضمائرهم . وقد أحكم هذه السلطة ما ورد فى ١٦ ـ ١٩ من انجيل متى : « أعطيك مفاتيح ملكوت السموات فكل ماتربطه على الأرض يكون مربوطاً فى السموات وكل ماتحله على

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الارض يكون محلولا فى السموات» وفى ١٨ ـ ١٨ منه «الحق أقول لكم كل ماتربطونه على الارض يكون مربوطاً فى السماء . وكل ماتحلونه على الارض يكون محلولا فى السماء »

فاذا قال الرئيس الكهنوتي لشخص انه ليس بمسيحي صار كذلك واذا قال انه مسيحي فازبها فليس المعتقد حراً فى اعتقاده يتصرف فى معارفه كما يرشده عقله بل عينا قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه فاذا اهتزت نفسه الى بحث أوقفها قابض على تلك السلطة . وهذا الأصل ان نازع فيه بعض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرنا طوالا

الاصل الثالث للنصرانية ترك الدنيا

وبعد هذين الاصلين أصل ثالث وهو التجرد من الدنيا والانقطاع الى الآخرة . تجد هذا الاصل فى الاناجيل وفي أعمال الرسل وكلما قرأت فى الكتب الأولى عثرت به . وتجد الأوامر الصادرة بالانقطاع الى الملكوت والترغيب من عالم الملك صريحة فى الاصحاح السادس والعاشر والتاسع عشر من انجيل متى . فمما جاء في السادس : « لاتقدرون ان تخدموا الله والمال ٢٥ لذلك أقول لكم لاتهتموا لحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون أليست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس (الى أن قال) ٣٣ ولكن اطلبوا أولا ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ٣٤ فلا تهتموا للغد لأن الغد يهتم بما لنفسه يكفي اليوم شره » وقال في التاسع عشر : « ٢٣ الحق أقول لكم انه يعسر ان يدخل غني ملكوت السموات ٢٤ وأقول لكم أيضاً ان مرور جمل من ثقب ابرة أيسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله » وفى العاشر : « ٩ لاتقتنوا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ١٠ ولا مزوداً للطريق ولا ثوبين ولا أحذية ولا عصا الخ »

وحث على الرهبانية وترك الزواج وفي ذلك قطع النسل البشري قال في (١٩ من متى :) « ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » . ثم ان ملكوت السموات قد نيط أمره بالايمان المجرد عن النظر في الاكوان فماذا يكون حظ صاحب الاعتقاد بهذا الاصل من النظر في أي علم والعلم لا دخل له في شؤن الآخرة والدنيا قد حرمت عليه . لا ريب ان همه يكون في الصلاة وصرف القلب بكليته الى العبادة دون سواها وليس الفكر في الحليقة من العبادة عنده فان عبادة الانجيل ليست شيئاً سوى الايمان والصلاة

الاصل الرابع للنصرانية الايمان بغير المعقول

وبعد هذه الأصول أصل رابع وهو عند عامة المسيحيين أصل الأصول لا يختلف فيه كاثوليك ولا ارثوذكس ولا بروتستانت وهو ان الايمان منحة لا دخل للعقل فيها وان من الدين ماهو فوق العقل بمعنى ما يناقض أحكام العقل وهو مع ذلك مما يجب الايمان به . قال القديس انسيلم : « يجب ان تعتقد أولا بما يعرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » فليس الايمان وهو الوسيلة الفردة الى النجاة في حاجة الى نظر العقل والكونُ وما فيه لا يهم المؤمن ان يجيل فيه نظرة . وقول القديس « ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » نوع من التفضل على النزعة البشرية الى الفهم وعلى الميل الفطري الى تصور ما يتعلق به الاعتقاد والا فمجرد الايمان كاف في الخلاص . ثم الويل كل الويل لطالب الفهم اذا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أدى اجتهاده الى شئ يخالف ماتعلق به ايمانه فكان من الفهم ان يخلق المؤمن لنفسه مايسلي به نفسه على ايمانه بغير المفهوم

(الاصل الخامس للنصرانية ان الكتب المقدسة حاوية كل مايحتاج اليه البشر في المعاش والمعاد)

ثم ينضم الى الأصول الاربعة خامس وهو ان الكتب المعروفة بالعهد القديم والعهد الجديد تحتوي على كل مايحتاج البشر الى علمه سواء كان متعلقاً بالاعتقادات الدينية والآداب النفسية والاعمال البدنية مما يؤدي الى نيل السعادة في الملكوت الأعلى أوكان من المعارف البشرية التي يتأتى للعقل الانساني ان يتمتع بها . قال تيرتوليان (وهو أفضل من وصف الاعتقاد المسيحي في نهاية القرن الثالث قبل ان تمرض عليه البدع الكثيرة) : « ان عقائد المسيحية أسست على الكتب السماوية ودليل صحة هذه الكتب قدمها وكونها أقدم من كتاب أميروس وأقدم من أقدم أثر معروف عند الرومانيين وأقدم من تأسيس الحكومة الرومانية نفسها والزمن ناصر الحقيقة ثم تحقق النبوآت التي وردت فيها » ثم قال : « ان أساس كل علم عندهم هو الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة وان الله لم يقصر تعليمنا بالوحي على الهداية الى الدين فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد أن نعلمه من الكون فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قدر للبشر أن يتناولوه بجميع ماجاء في الكتب السماوية من وصف السماء والارض ومافيها وتاريخ الامم مما يجب تسليمه مهما ضارب العقل أو خالف شاهد الحس فعلى الناس ان يؤمنوا به أولا ثم يجتهدوا ثانيا في حمل أنفسهم على فهمه أي على تسليمه أيضاً كما ترى وقال بعض فضلائهم : انه يمكن أن يؤخذ فن المعادن بأكمله من الكتاب المقدس

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاصل السادس للنصرانية التفريق بين المسيحيين وغيرهم حتى الاقربين

ينظم تلك الأصول كلها أصل سادس وهو آخرها فيما أرى . ذلك الاصل هو الذي ورد في الاصحاح العاشر من انجيل متى وهو : «٣٤ لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما على الارض ما جئت لألقي سلاما بل سيفاً ٣٥ فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماتها ٣٦ وأعداء الانسان أهل بيته » وقد صرح في عدة مواضع من الانجيل ان الاخلال بشيء من محبة المسيح أو بالانقياد الى جميع ما أوصى به موجب للهلاك وان كان قد جاء في مواضع كثيرة ان الايمان وحده كاف في الخلاص غير ان روح الشدة التي جاءت في قوله «لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما الخ» هي التي بقي أثرها في نفوس الاولين من المعتقدين بالدين المسيحي وعفت على آثار ما كان يصح ان تستشعره النفوس من بعض الوصايا الأخر

نتائج هذه الأصول وآثارها

من هنا أعرض المسيحيون الأولون عن شواغل الكون وصدوا عن سبيل النظر فيه اظهارا للغنى بالايمان والعبادة عن كل شيء سواهما وحجروا على هم النفوس ان تنهض الا الى الدعوة الى ذلك الايمان وتلك العبادة ووسائل الدعوة هي الايمان والعبادة كذلك فاذا نزعت العقول الى علم شيء من العالم وضعوا امام نظرها كتب العهد القديم وحصروا العلم بين دفاتها استغناء بالوحي عن كل عمل للعقل سوى فهمه من عباراته وليس يسوغ لكل ذي عقل فهمه بل انما يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفا من الزيغ عن الايمان السليم (البروتستانت رأوا أنه يجوز تفسير الكتاب لغير الكنيسة)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ثم ان القاء السيف ووضع التفريق بين الاقارب والاحبة انما جاء حافظاً لذلك كله فاذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمي الى معارضة شيء من أمور الايمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر ولم يجز في شأن صاحبه هوادة ولا مرحمة كما أفهمه المسيح بعمله على حسب ماورد في الانجيل فقد قيل له: «٤٧ أمك وأخوتك واقفون خارجا طالبين أن يكلموك ٤٨ فأجاب وقال للقائل له من هي أمي ومن هم اخوتي ٤٩ ثم مد يده نحو تلاميذه وقال ها أمي واخوتي». ونحو ذلك مما يدل على وجوب المقاطعة بين من يعتقد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقده ولا يخفى ان الشيء يكون بزرة ثم نبتاً ثم شجراً فانظر الى ماصار أمر هذه البدايات بحكم الطبيعة

وقر في نفوس المسيحيين ان السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم وتقرر عند القوم قاعدة «ان الجهالة أم التقوى» (وكثير من أهل الأديان مسيحيين ومسلمين لا يزالون يجرون على هذه القاعدة ببركة ما ورثوا عن أبناء الزمن الغابر) فحصروا التعليم في الاديار ومنعت الكنيسة ان ينشر التعليم بين العامة الا ما كان دعوة الى الصلاح وتقرير الايمان على وجه ظاهر. وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره. ظهرت ذات الذنب التي تنسب الى هالي في سنة ١٦٨٢ فاضطربت لظهورها اوربا ولجأوا الى البابا واستجاروا به فاجارهم وطردها من الجو فولت في الفضاء مذعورة من لعنته ولم تعد الا بعد خمس وسبعين سنة!!

لم يكن يسمح لأحد أن يبدي رأيا يخالف صريح ما في الكتاب وعندما أظهر بلاچ رأيه في أن الموت كان يوجد قبل آدم أي ان الحيوانات كان يدركها الموت قبل ان يخطئ آدم بالأكل من الشجرة قام لذلك

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

ضوضاء وارتفعت جلبة وانتهى الجدال والجلاد الى صدور أمر امبراطوري بقتل كل شخص يعتقد بذلك . يقول المؤرخ : وهكذا عد الاعتقاد بأن الموت كان يزور الاحياء قبل آدم جريمة على الملك

أحرقت كتب البطالسة والمصريين بالاسكندرية على عهد جول قيصر ثم ان تيوفيل بطريرك الاسكندرية انتحل أدنى الاسباب لاثارة ثورة في المدينة لاتلاف مابقي في مكتبة البطالسة بعضه بالاحراق وبعضه بالتبديد، قال أوروسيوس المؤرخ إنه رأى أدراج المكتبة خالية من الكتب بعد ان نال تيوفيل الأمر الامبراطوري باتلافها بنحو عشرين سنة

ثم جاء بعد تيوفيل ابن أخته سيريل وكان خطيباً مفوها له على الشعب سلطان بفصاحته وكان في الاسكندرية بنت تسمى هيباتي الرياضية تشتغل بالعلوم والفلسفة وكان يجتمع اليها كثير من أهل النظر في العلوم الرياضية وكان لايخلو مجلسها من البحث في أمور أخر خصوصاً في هذه المسائل الثلاث : من أنا والى أين أذهب وماذا يمكنني ان أعلم . فلم يحتمل ذلك القديس سيريل مع ان البنت لم تكن مسيحية بل كانت على دين آبائها المصريين فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق وهي سائرة الى دار ندوتها وجردوها من ثيابها وأخذوها الى الكنيسة مكشوفة العورة وقتلوها هناك ثم قطع جسمها وجرد اللحم عن العظم وما بقي منها ألقي في النار . يقول المؤرخ راوي هذه القصة : ولم يسأل سيريل عما صنع بهيباتي ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها ولعل ذلك كان أول ماتقررت تلك القاعدة : « الغاية تشفع للوسيلة »

مامن عقيدة ظهرت في المسيحية وأريد تقريرها من فريق ونازع فيها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فريق الا وقد سالت لها الدماء فليراجع التاريخ لتشمل أرض مصر مصبوغة بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عندما أريد تقرير عبادة العذراء واتخاذها لله أما كان ذلك في طبيعة الدين : ان من لم يتبع المسيح فهو هالك والهالك لا يستحق الحياة . ألم ترى في الاصحاح الخامس من الأعمال الى قصة الرجل الذي باع جميع ما عنده وعند اجاء الى بطرس أعطاه الثمن وادخر لنفسه شيئاً أخفاه عنه فاطلع بطرس على حقيقة الأمر ووبخ الرجل وتصرف فيه بسلب حياته من طريق المعجزة ثم جاءت امرأته وكان لها اطلاع على ما أخفى لها ولم تنبه فوبخها بطرس وأخبرها بموت زوجها فماتت هي أيضاً .

هذا كان الله يسلب الحياة جزاء على اختلاس الرجل شيئاً من مال نفسه لم يقدمه هدية للرسل فكيف تكون الحياة من حقه اذا خالف خلفاء الله في الارض وناقضهم فيما يعتقدون

يقال البابا أوسان الثالث عند الكلام على مصير الذين يخالفون الكنيسة الكاثوليكية « لا يجوز أن يرث الأولاد الذين سرق آباؤهم وترك الجناة هم من ورثهم » فلم يقصر الجزاء على المجاهرين بالكفر حتى امتد الى أولادهم وعدم ترك الحياة لأولادهم يتمتعون بها خير لهم من الاستسلام لحكم الله لا حق لهم في أن يعيشوا وقد جحد آباؤهم

مقاومة النصرانية للعلم

لا أجد في التاريخ ذكراً للعلم والفلسفة بعد ظهور المسيحية في مظهر القوة غير عهد قسطنطين وما بعده الا في أثناء المنازعات الدينية التي كانت تقوم فيها ثائرة بسلطان الملوك وأخرى بجمع المجامع وثالثة بسفك الدماء فتخمد شعلة العلم وينتصر الدين المحض . وإنما الذكر كل الذكر لما كان بين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المسيحية وماجاورها من الملل الأخرى من الحروب الدينية للحمل على العقيدة بما كان يعتقد المسيحيون وما كان يقع بين ملوك أوربا من التسافك في الدماء باغراء رؤساء الكنيسة وأمر ذلك معروف عند من له إلمام بالتاريخ وليس من موضوعنا الكلام فيه

ولكن أرى شبه نزاع بين العلم والدين ظهر في أوربا بعد ظهور الاسلام واستقرار سلطانه في بلاد الأندلس واحتكاك الاوربيين بالمسلمين في الحروب الصليبية

رجع الآلاف من الغزاة الصليبيين الى بلادهم وحملوا الى الناس أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من ان المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة وأجلوا عنها دين التوحيد ونفوا منها كل فضيلة وإخلاص وهم وحوش ضارية وحيوانات مفترسة فلما نقل الغزاة الى ديارهم قصوا على قومهم ان أعداءهم كانوا أهل دين وتوحيد ومروءة وذوي ود ووفاء وفضل مجاملة

ثم كان الخليفة الحكم الثاني جعل من بلاد الأندلس فردوساً كما قال الفيلسوف الاميركاني وكان اليهود والنصارى يتلاقون في تلك البلاد تحت ظلال الأمن والحرية . قال بطرس المحترم الشهير انه رأى كثيراً من العلماء يأتون الى تلك البلاد لتلقي العلوم الفلكية حتى من بلاد انكلترا وأولئك الذين يسعون الى طلب العلوم من أي بلاد جاؤا كانوا يجدون فيها رحباً وسعة وكان قصر الخليفة يشبه ان يكون مصنعاً للكتب — نسخ وتذهيب وتجليد الخ ماقال

ثم انتشرت صناعة الورق التي اخترعها العرب ثم اكتشفت المطبعة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وسهل على الناس ان ينشروا آراءهم بعد أن تنبهت أفكارهم بما جلب اليهم رسل العلم الذين حملوه اليهم عن أهالي اسبانيا ومن حملوه مما جاورها . ثم انساب الى العقول شيء مما سماه الاوربيون فلسفة ابن رشد . عند ذلك اهتمت المسيحية بالأمر وأخذت تحارب كل مايظهر على ألسنة الناس أو يرد على أسماعهم مما يخالف ما فى الكتب المقدسة وتقاليد الكنيسة . قال دي رومنيس : ان قوس قزح ليست قوساً حربية بيد الله ينتقم بها من عباده اذا أراد بل هي من انعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء . فجاب الى روما وحبس حتى مات ثم حوكمت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت فى النار . وقيل فى علة الحكم : انه أراد الصلح بين كنيستي روما وانكلترا . وأي ذنب أعظم من هذا الصلح ؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بان قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس فى نقط الماء

مراقبة المطبوعات ومحكمة التفتيش

انشئت المراقبة على المطبوعات وحتم على كل مؤلف وكل طابع ان يعرض مؤلفه أومايريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره . وأوعز الى هذا المراقب أن يدقق النظر حتى لاينشر مافيه شيء يومئ الى مخالفة العقيدة الكاثوليكية ووضعت غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة (كأن الحكومة العثمانية على ماتنشر بعض الجرائد أخذت نسخة من قرار المجمع المقدس لتجري عليه مراقبة المطبوعات ولكن للسياسة لا للدين)

انشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة عند ماخيف ظهورهما

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسمي تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا وايطاليا.

انشئت هذه المحكمة الغريبة بطلب الراهب توركماندا

قامت المحكمة بأعمالها حق القيام ففي مدة ثماني عشرة سنة — من سنة ١٤٨١ الى سنة ١٤٩٩ — حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين شخصاً بعقوبات مختلفة فنفذت ثم أحرقت كل توراة بالعبرية

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة « المقدسة » ؟ وسيلة واحدة هي ان يحبس المتهم وتجري عليه أنواع العذاب المختلفة بآلات التعذيب المتنوعة الى أن يعترف بما نسب اليه وعند ذلك يصدر الحكم ويعقبه التنفيذ . قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢ ان يلعن كل من ينظر في فلسفة ابن رشد . وطفق الدومينكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولعن من ينظر في كلامه شيئاً من الصناعة والعبادة لكن ذلك لم يمنع الامراء وطلاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل للوصول الى شيء من كتبه وتحلية العقول ببعض أفكاره

اشتدت محكمة التفتيش في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعاة الى كسبه ونيط بها كشف البدعة والحكم فيها مهما اشتد خفاؤها — في المدن . في البيوت . في السراديب . في الأنفاق . في المخازن . في المطابخ . في المغارات في الغابات . وفي الحقول . فوفت بما كلفت به مع البهجة والسرور اللائقين بأصحاب الغيرة على الدين عملا بالقول الجليل « ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً » كان يؤخذ الرهبان في صوامعهم ، والقسوس في كنائسهم ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والاشراف فى قصورهم ، والتجار بين بضائعهم ، والصناع فى مصانعهم ، والعامة فى بيوتهم ومزارعهم ، وحيثما وجدوا ، وايما ثقفوا ، ويوقفون أمام المحكمة وتصدر الأحكام عليهم يوم اتهامهم

قرر مجمع لاتران ان يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس الاعتراف الواجب أداؤه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس فى الكنيسة (أي الاعتراف بالذنوب طلباً لغفرانها) تذهب البنت أوالزوجة أو الأخت لاجل الاعتراف بين يدي القسيس يوم الأحد فيكون مما تسأل عنه عقيدة أبيها أو زوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه فى بيته ومايظهر فى أعماله بين أهله. فاذا وجد القسيس متلقي الاعتراف شيئاً من الشبهة فى طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه رفع أمره الى المحكمة فينقض شهاب التهمة عليه فاذا سأل عن الشاهد الذي عول عليه فى اتهامه لايجاب وإنما يقام التعذيب مقام شخص الشاهد وهو من أهله حتى يعترف

أوقعت هذه المحكمة المقدسة من الرعب فى قلوب أهل أوربا ماخيل لكل من يلمع فى ذهنه شئ من نور الفكر اذا نظر حوله أوالتفت وراءه ان رسول الشؤم يتبعه وان السلاسل والأغلال أسبق الى عنقه ويديه ، من ورود الفكرة العلمية اليه ، وقال باغلياديس ما كان يقوله جميع الناس لذلك العهد : « يقرب من المحال ان يكون الشخص مسيحياً ويموت على فراشه »

حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ الى سنة ١٨٠٨ على ثلاثمائة واربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف احرقوا بالنار أحياء

اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء عامة

لما كان ابن ر[illegible] هو الينبوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية فى

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

اوربا على زعم القسوس وكان ابن رشد استاذاً يتعلم عنده كثير من اليهود وقد اتهموا بنشر افكاره وآرائه ثم هو مع ذلك مسلم صب غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معاً فصدر الأمر فى ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢ بأن كل يهودي لم يقبل المعمودية فى أيّ سن كان وعلى أي حال كان يجب ان يترك بلاد اسبانيا قبل شهر يوليو (تموز) ومن رجع منهم الى هذه البلاد عوقب بالقتل وأبيح لهم ان يبيعوا ما يملكون من عقار ومنقول بشرط ان لا يأخذوا فى الثمن ذهباً ولا فضة وإنما يأخذون الأثمان عروضا وحوالات . ومن ذا الذى يشترى اليوم بثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن ؟ (يعني ان أموال اليهود تكون مباحة بعد جلائهم الذى يتم فى يوليو) . وصدر أمر توركماندو ان لا يساعدهم أحد من سكان اسبانيا فى أمر من امورهم . وهكذا خرج اليهود تاركين كل ما يملكون ناجين بارواحهم على انه لا نجاة لكثير منها فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع العدم والفقر

وفى فبراير (شباط) سنة ١٥٠٢ نشر الأمر بطرد أعداء الله المغاربة (المسلمين) من أشبيلية وما حولها — من لم يقبل المعمودية منهم يترك بلاد اسبانيا قبل شهر ابريل (نيسان) وأبيح لهم أن يبيعوا ما يملكون على الشرط الذى وضع لليهود . ولكن وضع للمسلمين شرط آخر وهو أن لا يذهبوا فى طريق يؤدي الى بلاد إسلامية ومن خالف فجزاؤه القتل . فهؤلاء المساكين نفوا جميعاً الى القتل ان لم يكن قتل الجزاء عند الرجوع فالموت ملاقيهم بالتعب مع العرى والجوع

الا يعجب القارئ اذا رأى ان برونو يحرق بالنار حياً بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ لأنه قال بقول الصوفية فى وحدة الوجود وقال ان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

هذا العالم يحتوي على عوالم كثيرة . الحمد لله رب العالمين

ظهر القول بكروية الأرض — ذلك الأمر الذي عرفه المسلمون وصار رأياً لهم في أول خلافة بني العباس ولم تتحرك له شعرة في بدن — فأحدث اضطراباً شديداً في عالم النصرانية ولا يسع هذا المقال ما وقع من الحوادث في شأنه

هل يصدق القارئ ان ماقصده كريستوف كولب من السفر في المحيط الاطلانطيق لعله يكتشف ارضاً جديدة كان من الأمور التي اهتمت لها الكنيسة وحكم مجمع سلامانك بأنه مخالف لأصول الدين ثم أعيد النظر فيه وعرض على أقوال الآباء من كريزيستوم واوغستين وجيروم وغريغوار وبازيل وانبرواز وعلى رسائل الرسل والأناجيل والنبوات والزبور والاسفار الخمسة ولم ينتج هذا العرض شيئاً . ولكن ساعده على ماقصد بعض الملوك رغم الكنيسة كما هو معلوم . قال كريستوف كولب ان الذي أوحى اليه هذا القصد النبيل هي كتب ابن رشد . من هنا نفهم لم قامت له الكنيسة وقعدت .

ما أشد تمسك الكنيسة بهذا الأصل الجليل « السلطة للقسوس والطاعة على العامة » كل رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الديني الذي يربط ويحل في الارض والسماء فهو باطل تجب مقاومته بكل مايستطاع . لهذا حكم على غاليلي الذي ذهب الى ان حركة الكواكب هي على النظام المعروف عند الفلكيين اليوم

مقاومة الكنيسة للحقن تحت الجلد : هل تدري ماذا حصل من المقاومة لادخال الحقن تحت الجلد بمادة المرض ؟ اكتشفت هذه الطريقة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الطبية عند المسلمين في الاستانة ثم نقلتها الى اوروبا امرأة تسمى ماري مونتاجو سنة ١٧٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها واحتيج في تعضيدها الى التماس المساعدة من ملك انكلترا وعادت هذه الشدة في المعارضة عندما اكتشفت طريقة تطعيم الجدري

مقاومة تسهيل الولادة : أيّ مقاومة لم يلاقها اكتشاف تخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بألم الطلق . اكتشاف أميركاني رأت حضرات القسوس فيه انه يخلص المرأة من تلك اللعنة أو تلك العقوبة التي سجلت عليها في سفر التكوين (إذ جاء في الاصحاح الثالث منه : « وقال للمرأة تكثيراً اكثر اتعاب حملك بالوجع تلدين اولاداً »)

مقاومة السلطة المدنية وحرية الاعتقاد : نشر البابا منشورا في سنة ١٨٦٤ جاء فيه لعن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسلطة مدنية او جوازان يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يعتقد بان الشخص حر فيما يعتقد ويدين به ربه . وفي منشور له سنة ١٨٦٨ ان المؤمنين يجب عليهم أن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وافكارهم ودعا الروم الارثوذكس والبروتستانت الى الخضوع للكنيسة الرومانية على هذا الوجه

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة بروسيا والبابا في عزل استاذ في إحدى الكليات رأى رأيا لا يروق للحزب الكاثوليكي فحرمه البابا وطلب من الحكومة عزله وكانت إحدى المضلات السياسية غير ان عزيمة بسمارك نصرت مدنية القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة وأبقت الاستاذ وجعلت التعليم تحت السلطة المدنية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مقاومة الجمعيات العلمية والكتب : لا أذكر الجمعيات العلمية (الاكاديميات) التي الغيت والاجتماعات التي عطلت لا لشيء كان فيها سوى هداية البشر الى منافعهم وتنوير بصائرهم بكشف ما احتجب عنهم من سر الخليقة بالبحث النظري ومن الطريق العقلي من غير استشارة المسيطر الالهي وهو الكنيسة . ولكن أذكر شيئاً واحد وهو ان الكردينال اكسيمنيس أحرق في غرناطه ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب المعوّل عليها عند علماء أوربا لذلك العهد

البروتستانت اوالاصلاح

ربما يقول قائل ان هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية ولكن قد قام في المسيحية مصلحون يرون إرجاع الدين الى أصل الكتب المقدسة ويبيحون لعامة أهل الدين ان ينظروا فيها ويفهموها وقد رفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والعقول ومن عهد ظهور الاصلاح والرجوع الى أصول الدين الأولى بزغت شمس العلم بالمغرب وبسط للعلم بساط التسامح وذلك لا يمكن أن يكون الاجريا مع طبيعة الدين

لا أذكر في الجواب عن ذلك الا ما ذكر البروتستانت أنفسهم في تاريخ الاصلاح : استمرت عقوبة الموت قانونا يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفه وقد أمر كلفان [1] باحراق سيرفيت في جنيف لأنه كان يعتقد إن الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابتداع قبل مجمع نيقه . وكان يقول : ان روح القدس ينعش الطبيعة بأسرها . فكان جزاؤه على هذا ان شوي على النار حتى مات وهكذا أحرق فايتي في تلوز سنة ١٦٢٩

(١) كلفان هو الزعيم الثاني للبروتستانت ولوتر الأول

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

كان لوتير أشد الناس أنكارا على من ينظر في فلسفه ارسطو وكان ذلك المصلح يلقب هذا الفيلسوف بالخنزير الدنس الكذاب ونحو ذلك من الألقاب التي لا بأس بها اذا صدرت من أهل الغيرة على الدين في طريق الدفاع عنه !! وكان كلفان أقل شتما للفيلسوف من لوتير لكنه لم يكن أحسن ظنا به ولا أوسع صدرا لمن يطلع على شيء من كتبه. وكان علماء المسلمين يلقبون هذا الفيلسوف «المعلم الاول» فتأمل الفرق بين الفريقين !!

قالوا : البروتستانت قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وبابطال السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الاخروية وابطال عبادة الصور . ولكنهم لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بان الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري كما انها منبع نور الإيمان بالدين الالهي وانه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره الى ما يخالف شيئاً مما حوته وأنه لا حاجة الى شيء من العلم وراء ما ورد فيها . وبالجملة انهم لم يبطلوا أصلا من الأصول الستة التي تقدمت إلا أنهم قالوا بمنع غلو الرؤساء في سلطتهم المبنية على الاصل الثاني في سابق قولنا

قالوا : ولهذا لم يكن مذهب الاصلاح اخف وطأة على العلم ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك لان كلا المذهبين يرجع الى طبيعة واحدة (وهي القائمة على الاصول الستة) ولم يكن لاهل النظر العقلي جزاء في كلا الملتين الا القتل وسفك الدم

لو كنت ممن يحب الجدال في الدين لمددت فيما ذكرته من عناصر الدين المسيحي ما تضمنه قول بعض الناقدين عند الكلام على الحروب المسيحية واضطهادات الكنيسة « ما أهون الدم على من يمثل في عبادته اكل

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الدم وعلى من يعتقد ان خلاص العالم الانساني من الخطيئة انما كان بسفك الدم البريء على يد المعتدي الاثيم» لكني في بحثي هذا لا أريد ان استعمل قوة الخيال، ولا أن أذكر ما يعد من قبيل الجدال، وانما آتي بما هو حكاية حال، ليس للناظر فيها مقال،

الفصل بين السلطتين في المسيحية

بقي علينا الكلام فيما جعلته الجامعة أساساً للفصل بين السلطتين الدينية والملكية وبه كانت طبيعة الدين المسيحي ادعى الى التسامح مع العلم في نظرها . لو سلمنا أن في تلك العبارة معنى الفصل كما قالت الجامعة وقال كثير غيرها ممن أرادوا مقاومة السلطة الدينية فماذا يفيد الفصل اذا كان دين الملك نفسه يقضي عليه بمعاداة العلم ؟ أفلا يغلب اعتقاد الملك وما يملأ نفسه مما فيه نجاته الروحية على مطالب الملك ؟ وكم من ملك جعل مصالح مملكته قربانا لسلطان عقيدته . هب ان مصالح الملك تكون دائماً أغلب على النفس من حكم العقيدة وقاهر الايمان والوجدان وقد أقام الدين سلطتين منفصلتين احداهما تحل وتربط في الارض وفي السماء فيما هو من خاصة الدين والأخرى تحل وتربط في الأرض فيما هو من خصائص الدنيا . أفلا يكون هذا الفصل قاضياً بتنازع السلطتين وطلب كل واحدة منهما التغلب على الأخرى فيمن تحت رعايتهما معاً ؟ وهل يسهل على السلطة الدينية أن تدع رعاياها تتصرف في أبدانهم وأموالهم بل وفي عقولهم أيدي الملوك بما تقتضيه مصالح الملك الفاني اذا كان ذلك التصرف مخالفاً لما جاء في كنز المعارف وهو الكتب السماوية وتأويل الرؤساء الروحيين وسننهم فاذا همت هذه السلطة بالمعارضة أفتصبر الأخرى ؟ هذا هو الذي وقع

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في العالم المسيحي منذ ظهرت سلطة الدين

كيف يتسنى للسلطة المدنية أن تتغلب على السلطة الدينية وتقف بها عند حدها والسلطة الدينية إنما تستمد حكمها من الله ثم تمد نفوذها بتلك القوة الى أعماق قلوب الناس وتديرها كيف تشاء. والملك لا قوة له الا بأولئك الناس المغلوبين للسلطة الدينية ؛ لا يتأتى للملك أن يغالب تلك القوة الا بعد ان يتناول من الوسائل مالا يد لإضعاف سلطتها . نعم هذا الفصل يسهل التسامح لو كانت الأبدان التي يحكمها الملك يمكنها ان تأتي أعمالها على حدة مستقلة عن الأرواح التي تحيا بها والأرواح كذلك تأتي أعمالها بدون الأبدان التي تحمل قواها

ثم هل هذا هو معنى قول الانجيل ؛ القصة على ماجاء في الانجيل أن بعض المرائين أراد أن يتسقط المسيح ليأخذ عليه مايتم به فسأله : أيجوز أن نعطي جزية لقيصر ؛ فأجاب لم تجربوني ائتوني بدينار لأنظر اليه . فأتوه بدينار فقال : لمن هذه الصورة والكتابة ؛ قالوا له لقيصر فقال : اعطوا مالقيصر لقيصر وما لله لله . فمعناه الظاهر من سياق القصة أن صاحب السكة التي تتعاملون بها اذا ضرب عليكم ان تدفعوا منها شيئاً فادفعوه له أما قلوبكم وعقولكم وجميع ماهو من الله وعليه طابع صنعته فلا تعطوا منه لقيصر شيئاً . والعلم ليس مما عليه طابع قيصر بل عليه طابع الله فلا يمكن أن يكون العلم تحت سلطة غير السلطة الروحانية الدينية . فأي تسامح مع العلم في هذا

اعتقاد المسلمين في المسيح والمسيحية

هذا الذي عرضناه من طبيعة الدين المسيحي وأوردناه من مشاربه

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فيما بعد نشأته وما وقع من حوادث أهله مع طلاب العلم ورواد المعارف في كل زمن الى مايقرب من أيامنا هذه كل ذلك مأخوذ من تاريخهم الذي كتبوه عن أنفسهم ومن نصوص كتبهم الدينيه التي يتوكؤن عليها فيما ذكرنا من سيرتهم وأعمالهم

أما رأيي ورأي أهل العقيدة الصحيحة من المسلمين فى المسيح عليه السلام ودينه فهو على غير مارآه القارئ . انا نعتقد ان المسيح روح الله وكلمته ورسوله الى بني اسرائيل بعث مصدقا لما بين يديه من التوراة وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم ورشاد فى شؤن معاشهم ومعادهم ولم يطالبهم بتعطيل قوة من قواهم التى وهبهم الله تعالى إياها بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها ولا يشكر حق الشكر الا باستعمالها جميعها فيما أعدها الله له . والعقل من أجل القوى بل هو قوة القوى الانسانية وعمادها والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذى يتلوه وكل مايقرأ فيه فهو هداية الى الله وسبيل للوصول اليه . وكل ماصح عندنا عن السيد المسيح لايخالف شيئ منه هذا الذى نعتقد . فان صح عنه شيئ يكون فى ظاهره مخالفة لهذه الأصول أمكننا تأويله حتى يرجع معناه اليها أو وكلنا الامر فيه الى الله وقلنا « لاعلم لنا الا ما علمتنا » .

الدين دين الله وهو دين واحد فى الاولين والآخرين لاتختلف الا صوره ومظاهره . وأما روحه وحقيقة ماطولب به العالمون أجمعون على ألسن الانبياء والمرسلين فهو لايتغير — إيمان بالله وحده وإخلاص له في العبادة ومعاونة الناس بعضهم لبعض فى الخير وكف أذاهم بعضهم عن بعض ماقدروا . وهذا لاينافي الارتقاء فى الدين بارتقاء عقول البشر

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واستعدادهم لكمال الهداية . ونعتقد ان دين الاسلام جاء ليجمع البشر كلهم على هذه الأصول ومن أهم وظائفه ازالة الخلاف الواقع بين أهل الكتاب ودعوتهم الى الاتفاق والاخاء والمودة والائتلاف وهذا ماعمل عليه المسلمون قرنا بعد قرن بحسب قوة تمسكهم بالاسلام

فاذا سأل سائل : لماذا كان ذلك الذي قدمت فيما سبق هو اعتراف فضلاء الأوربيين أنفسهم في منافاة طبيعة الدين للعلم واشتداده في معاداته فما هذا الانقلاب الذي حصل في أوربا وما هذا التسامح الذي يتمتع به العلم اليوم في أقطارها ؟ فجوابه في الكلام على الامر الرابع مما ذكرت الجامعة وهو يكون بعد عرض طبيعة الدين الاسلامي وما يليق أن يكون له مع العلم وما انجر اليه الحال بمقتضى تلك الطبيعة وما عرض عليها مما سترها وحال بينها وبين أثرها في أخريات الأيام ؟ وسنوجز القول فيه كما أوجزناه فيما مضى

باب الاسئلة والاجوبة

(١س) غمغمة المتصوفة من الشيخ عبد الله عبد الرحمن بالقنايات : قال بعد كلام يعرّض فيه بعلماء التقليد وعدم الثقة بهم ويثني فيه على المنار ما نصه

« ما برى سيدي فيمن نعلق بالشهادتين أو بطلاق امرأته أو بأيّ عقد يحتاج في اعتباره الى صراحة اللفظ نطق به كما تصنعه هذه الفرقة (المتصوفة) في ذكرهم وأريد غمغمتهم . اهو إسلام صحيح ، أو طلاق صريح ، أو عقد معتبر شرعا ؟ فان قائم بصحته كلية فما هذا الذي ينكره الناس على هذه الطائفة ؟ وان رأيت غيره فأي شيء هو ؟ ألغوٌ من الكلام ، لايثبت به إسلام ، ولا يعطي ما يعطيه اللفظ الصريح من المعاني »

(ج) الغمغمة هي النطق لابيان فيه وأصلها أصوات الثيران عند الذعر وتقع من الناس اضطراراً يقال : غمغم الأبطال عند الكفاح في الحرب . وهذا هو الذي

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يلعب الغش الحقيقي . فلذا عدم الانسان مختاراً فإنما يكون لاعباً وهازلاً فلذا جاء في حديث كلمة الشهادة فلا يعتد بها ظاهراً ولا باطناً . أما عدم الاعتداد بها في الباطن فلأن اللعب بأصل الدين سخرية وهزء وهو مزيد في الكفر فكيف يحصل به الايمان ؟ وأما عدم الاعتداد بها في الظاهر فلأنها غير ظاهرة وربما لا يعرف غير المتلفظ انها وقعت في محنته . ولأن قرينة الهزء والسخرية تصرف الكلام عن ظاهره

ومثل هذا يقال في الطلاق الا أن الفقهاء من الحنفية والشافعية يعتبرون هزل الطلاق جداً فلذا اعترف بأنه في محنته نطق بصيغة الطلاق الصريحة فربما يحكم القاضي عليه بما تقتضيه تلك الصيغة في مذهبه . واذا كان المتلفظ يعتقد ذلك فهو يعمل به أيضاً

والسائل يعلم ان المقصود التي من شأنها أن يحكم فيها الحاكم تكون الحقيقة بالظاهر القول ويلزم والباطن قليلة فيما جاء ورد في الكتاب العزيز والسنة الصحيحة مع الاخلاص في القلب وصحة التوجه الى الله تعالى . فالناس ينكرون على المتصوفة المتفقين في الذكر لانهم اخترعوا لانفسهم عبادة لم يأذن بها الله تعالى في كتابه ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيقتلونهم قوله عز وجل « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين مالم يأذن به الله » ويصدق عليهم قوله تعالى « اتخذوا دينهم هزوا ولعباً » ولكل مسلم الحق في انكار كل عبادة لم ترد في الكتاب والسنة في قالبها أو صورتها قد أخبر الله تعالى في كتابه بأنه أكمل الدين لنا وأتم علينا به نعمته فكل من يزيد فيه شيئاً فهو مردود عليه لأنه مخالف للآية الشريفة والحديث الصحيح « كل من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد »

كل بدعة في الدين فهي ضلالة كما ورد في الحديث وأما البدع التي منها حسن ومنها سيء فهي الاختراعات المتعلقة بأمور الناس ووساطه ومقاصده وهي المراد بقوله صلى الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة . ومن سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » ولولا ذلك لكان لنا أن نزيد في ركعات الصلاة أو صيامها والله أعلم

(س ٢) خزانة الشاهرة محمد افندي علبي السمرة بيولاق : أرجوكم الافادة عن (الشاهرة) وهي ان تدخل امرأة تحمل عقداً من اللؤلؤ على احدى النساء الواضعات فيكون أثر ذلك في الواضعة انها لا تحبل بعد ذلك أبداً الا أن تأتي بعقد من اللؤلؤ فتضعه في الماء بشكل مخصوص فانها بعد ذلك تحبل وقد أثبتت كثرة التجارب كثيراً من هذا فهل ورد عنه نهي في الشرع الشريف

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(ج) الشرع أباح للناس أو أرشدهم الى البحث عن منافعهم الدنيوية ليستفيدوا مما ثبتت لهم فائدته ويجتنبوا ماثبتت لهم مضرته فلو فرضنا ان التجارب التى ذكرها السائل صحيحة محققة لكان حكمها في الشرع أنه يحرم على المرأة أن تدخل على النفساء بعقد من اللؤلؤ لانها تضرها بمنع الحبل ثانية لاسيما اذا كان العقد خفياً أو كانت النفساء لاتعرف العلاج أو لاتقدر عليه . وانه يجوز لمن منع حبلها بذلك ان تعالج نفسها بوضع عقد من اللؤلؤ في الماء اذا أرادت ازالة المانع

أما نحن فلا نعتد بتجارب العامة ولاسيما النساء ولا نرضى للسائل أن يصدقهن بهذه المزاعم وكم لهن من أمثالها أكثر منهن في الزاوية العاقل يشك في مزاعم هؤلاء الجاهلات اذا كانت في ذاتها قريبة في نظر العقل فكيف يصدقهن فيما يكون بعيداً من النظر كمسألتنا فان العقل لايتصور علاقة لعقد اللؤلؤ بأمر الرحم والتناسل لاسيما في صورة الانفصال والبعد

باب الرد على شبهات المسيحيين

(ايمان المسلمين وأعمالهم)

جاء في الجزء ٨ من مجلة بشائر السلام نبذة تحت هذا العنوان ملخصها انه يجوز على مذهب أهل السنة « ان يؤمن أحد بالاسلام ايماناً حقيقيا وتبقى أعماله شريرة » واعترض الكاتب على هذا اعتراضين احدهما « ان الايمان الذى لاينشئ في صاحبه توبة وعملا صالحاً بل يتركه وسيئآته تفوق حسناته ومضاره تزيد عن منافعه ... فهو ايمان باطل عديم النفع يحط من كرامة الخالق ويزيد في شقاوة المخلوق » ثانيهما « عجز الايمان المحمدي عن الخلاص التام » وقد أورد الكاتب بعد الاعتراض الأول كلمات من كتب المهدين تدل على أنه يطلب من الانسان أن يكون كاملا ولكنها لاتدل على أن المؤمن يكون معصوماً من الذنوب . وأورد بعد الثاني كلمات تدل على أن الايمان بالمسيح كاف للخلاص ولكن لم يشترط مع الايمان عملا صالحاً

لو كان هؤلاء المعترضون يعتقدون بما يقولون لكانت هدايتهم قريبة واقناعهم أقرب ولكنهم يلوكون الكلام ويلوون ألسنتهم بالكتاب ليفتنوا به عامة المسلمين الجهلاء ولايبالون ان كان الكلام حجة عليهم . عهدهم الجديد ناطق بان البر والعمل بالناموس الالهي لايغنيان عن الانسان شيئاً وانما يغني عنه الايمان بالمسيح فقط وبذلك

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يحبو ويرث الملكوت وان كان شر الاشرار . وأفجر الفجار ، والقرآن لايكاد يذكر الايمان الامقروناً بذكر العمل الصالح . وورد في السنة الصحيحة أن الايمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالاركان . وهذه السنة مؤيدة بخمس وسبعين آية من القرآن . وهذا ماعدا الآيات التي ذكر فيها العمل الصالح بدون ذكر الايمان

قال تعالى « وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وقال عزوجل « ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب . من يعمل سوءا يجز به ولايجد له من دون الله ولياً ولا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولايظلمون نقيراً » وقال جل ذكره « انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون أولئك هم المؤمنون حقا » وقال تقدست أسماؤه « والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » فهذه السورة القصيرة أجمع للفضائل وأبلغ في الهداية من جميع الكتب التي في العالم سماوية كانت أو غير سماوية وهي كافية لاتكون دينا مستقلا لقوم يتدينون

ان الشبكة التي يصيد بها الجاهلين هذا الكاتب وأمثاله الى المسيحية هي أن خلاص الانسان محصور في ان يؤمن — أي يقول وان لم يعقل — ان الاله مركب من ثلاثة أصول كل واحد منها عين الآخرين فالثلاثة واحد وان احد الثلاثة وهو الابن حل في جسم إنسان بواسطة آخر وهو روح القدس فصار هذا الانسان الاله وابن الاله وإنساناً وابن الانسان وصار هو الله ثم انه سلط أعداءه على نفسه فصلبوه واحتمل الألم واللعنة الالهية لاجل خلاص الناس من ذنب أبيهم آدم وذنوبهم لأنه لم يجد غير هذه الطريقة لخلاص عباده

لايطلب هذا الكاتب وأمثاله ممن يدعوهم الى دينه الا هذا القول الذي لايعقل ولا يحمل النفس على عمل صالح بل يجرئها على جميع المعاصي والجاهل يحب أن تباح له المعاصي ويكون ناجياً بكلمة يقولها . فاذا كان دعاة النصرانية قد بدا لهم أن يشترطوا مع هذه الكلمة التي يسمونها إيماناً ترك المعاصي والأعمال الصالحة فأية مزية لدينهم غير تلك الكلمة التي لاتعقل ولا تفهم ؟ الا يعلم انه اذا دعا مسلماً الى دينه وطالبه بترك المعاصي وبعمل الصالحات فانه لايستطيع أن يصيده مهما كان جاهلا لانه يقول ان هذا يكلفني بمثل مايكلفني به ديني ويزيد علي ثقلا آخر وهو الايمان بما لا أعقله ولا أفهمه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وهو أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وان الله عجز عن انجاء الناس بدون أن يهين ذاته العلية بالحلول في أحدهم وبالتألم وبلعن نفسه

المسلمون يعتقدون أن الايمان يهذب الاخلاق ويصلح الاعمال وأنه يجوز مع ذلك ان تغلب على المؤمن شهوته أو غضبه فيعمل شراً لاسيما اذا لم يترب على أعمال الايمان من النشأة الأولى ولكنه يرجع ويتوب عن قريب قال تعالى « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذاهم مبصرون » وقال سبحانه « إنما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم » ومن التوبة أن يعمل صالحاً يكفر سيئته « ان الحسنات يذهبن السيئات » فاذا قصر فهو تحت مشيئة الله

فتبين مما ذكرنا بالاختصار أن الايمان عند المسلمين يثمر الاعمال الصالحة وان العمل لاقيمة له في ايمان النصارى . أما قول مجلة بشائر السلام في نتيجة الاعتراض الاول : « وبناء على ماتقدم كل ايمان لايكون الكمال غايته والتقوى ثمرته فهو اما ايمان كاذب بالإله الحق كايمان النصارى بالاسم واليهود بالاسم أو ايمان صادق لكنه بإله باطل خيالي قائم على الاوهام ». فهو مسلم ولقد أنصفت فيما كتبت عن ايمان النصارى ولم يكن من شأنها ذلك فان ايمانهم ليس الا أسماء سموها وأقوالا لا تعدو الفم لان العقل ينكرها ، ولايستطيع أن يتصورها . وأما قولها بعد ذلك « وأظنك لم تنس ذكر القوم الذين هم على الاسلام بالاجماع وهم مع ذلك من أهل العصيان والفجور بحيث يحكم عليهم بالسجن في جهنم مدة لاتنقص عن تسعمائة سنة ولاتزيد عن سبعة آلاف » الخ . فهذا التحديد فيه لم يصح في كتاب ولاسنة فهو لايعتد به عند المسلمين وان ذكر في بعض الكتب فكم في الكتب من أحاديث موضوعة وأقوال مكذوبة ولاحجة علينا الا في القرآن الكريم والاحاديث الصحيحة . وأما كلام المؤلفين في أمور الآخرة فلا يعتد به مالم يكن منقولا على انه لايجب الايمان فيما يتعلق بعالم الغيب كاحوال الآخرة الا بالقرآن والاحاديث المتواترة وهي قليلة جدا . وهذا الذي قلناه هو الاصل المعول عليه عند المسلمين

وأما قوله تعالى « وان منكم الا واردها » فليس خطابا للمسلمين كما زعم الكاتب لان الآيات التي قبلها كلها في الكفار فقيل ان الخطاب لهم خاصة وقيل انه عام والمراد بورود المؤمنين حينئذ المرور عليها والجثو عندها قبل دخول الجنة وبذلك يعرفون مقدار نعمة الله تعالى عليهم بدخول الجنة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(كلمتان) أختم هذا الرد بكلمتين أولاهما للمسلمين الذين يرسلون الينا هذه الجرائد لنرد عليها: لايحزنكم أيها المسلمون هذا الاعتداء الذى لم تعتادوه ولا تعدوه من سيئات حرية المطبوعات فهو من حسناتها لأن هذا الاعتداء على الطعن بدينكم هو الذى يوقظكم من نومكم ويبعث فيكم شعور البحث والاستدلال ويحيي فيكم روح الغيرة الملية والمباراة القوميه حتى تعرفوا حقائق دينكم بالبراهين والدلائل والبحث لايزيد الحق الا ظهوراً

والكلمة الثانية للنصارى المعترضين، الذين يسمون أنفسهم مبشرين، وهي: اننا نعتقد انكم تطعنون بدين الاسلام الذى لولاه لايثبت دين في هذا العصر المنير مأجورين لا معتقدين بما تقولون وما تكتبون. ولذلك يترك أحدكم التبشير اذا عزل من الجمعية ومنع عنه الراتب الذى كان له. ولو كنتم تعتقدون بالدين لعلمتم ان دين الله واحد وهو تنزيه الباري وتوحيده والاخلاص في عبادته وترك الشرور وعمل البر ونفع العباد. وكنتم ترون ان الاسلام قد خدم العالم الانسانى بهذا الاصلاح المنقح وانه هو دين الانبياء أجمعين ظهر في أكمل ارتقاء وأخرج أهل الكتاب من الخلاف والمشكلات ولكن الهوى يصدكم عن هذا فاعملوا على مكانتكم انا عاملون، وانتظروا انا منتظرون.

باب الاخبار والآراء

المصريون فى أوربا وسوء التقليد

لما ولع أمراء المصريين وكبراؤهم بالاصطياف في أوربا دب فساد التقليد في في نفوس الطبقات المتوسطة المتصلة بهم فصار الكثيرون منهم يهاجرون الى أوربا بالتبذير الاموال، واقتباس أسوء الخلال،

وقد علمنا أن شيخاً من هؤلاء استدان مبلغا من المال وسافر به الى باريس وقد أنحف بنتاً له في المدرسة السنية برقمة بريدية مصورة (كرت بوستال) أرسلها اليها في البريد. ولو علم القراء ماهى الصورة التى عليها لكان لهم عبرة في هذا التقليد الضار ولايكون التقليد الا ضارا

تلك الصورة هى صورة أشهر بَغيّ من مومسات باريس وقد صورت على الرقمة عارية لترغيب الفساق بالاقبال عليها وكتب تحت الصورة وصفها ووصف مكانها وكتب الشيخ المصري ابنته تحت تلك الكتابة الفرنسوية أنظري يابنتى ما أجمل هذه العادة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الباريسيه !!! فماذا نرجو من رجال يربُّون بناتهم هذه التربية وكيف نقول ان البنات ملومات على فساد أخلاقهن وأدبهن ؟ ولو أن ناظرة المدرسة السنية اطلعت على هذه الرقعة مع البنت لطردتها من المدرسة وأتى لها بالاطلاع عليها.

ولايتوهن أحد أن هذا الشيخ الجاهل هو من شيوخ العلم أوشيوخ الطريق . كلا انه من المتعممين الذين ليس لهم لقب أفندى أوبيك

﴿ ابن الرشيد وابن سعود فى نجد ﴾

قد استولى ابن سعود على القسم الجنوبي من بلاد نجد الى حدود بلاد اليمن فصار في يده نصف البلاد أو يزيد ، والباقي فى يد ابن الرشيد ، ويود جميع الاهالي لو خلصت الامارة لابن سعود لأنه أعلم وأرحم، وابن الرشيد أجهل وأظلم، والاميران الآن فى شبه هدنة لان ابن الرشيد يتوقع اعانة الدولة العلية وامدادها اياه بالرجال والسلاح وهذا دليل على معرفته بعجزه . وعندنا ان الحكمة في عدم دخول الدولة العلية في هذا الامر بالفعل لأن عاقبة ذلك وخيمة جداً . والخطر متوقع على كلا الحالتين الآتيتين — اذا خلصت الامارة لابن سعود من غير أن تحاربه الدولة فانه يكون موالياً لها وخاضعاً لامرها كابن الرشيد أوأشد ولاء وخضوعاً . واذا غلب على أمر البلاد بعد مناوأة من الدولة فيخشى أن يسقط نفوذها من قلب البلاد العربية وهذا احد الخطرين . وأما الخطر الثاني وهو أشدهما فهو مايُنتظر من احتماء ابن سعود بدولة انكلترا اذا جردت الدولة عليه جيشاً لاقبل له به . ولولا أن وصل الى آذاننا شيء من الهمسات الخفية التي يتناجى بها سماة الفتن في بلاد العرب لما كان يخطر في بالنا أن يكون شيء من هذا وقانا الله وبلاد العرب من عواقب هذه الفتن

لهذا قلنا ان من الحكمة أن لاتسيء الدولة العلية أحد الخصمين بالفعل ولا شك ان العاقبة الحسنة تكون لها اذا اتقت هذين الخطرين (والعاقبة للمتقين)

(غلط فى الجزء ١٠) في السطر ٦ من الصفحة ٣٧٠ كلمة دعث والصواب (وعث) وهي الأرض التي تغيب فيها الأقدام لليونها . وفي السطر ١٣ منها بجبل والصواب (بجبل) . وفي س ٢٠ من ص ٣٨٠ كلمة من وصوابها (في) وفي البيت ١٧ من ص ٣٩٢ (دبنارا) والصواب (بنارا) وفي البيت ٢٢ منها (ينارا) والصواب (دينارا) فليصحح

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « منارا » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ — ١٩ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢)

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم . والاستاذ العليم

طبيعة الاسلام مع العلم بحكم أصوله

(تمهيد الاصل الاول) للاسلام في الحقيقة دعوتان — دعوة الى الاعتقاد بوجود الله وتوحيده ودعوة الى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم . فأما الدعوة الاولى فلم يعول فيها الا على تنبيه العقل البشري وتوجيهه الى النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ماحواه الكون من النظام والترتيب وتعاقد الاسباب والمسببات ليصل بذلك الى أن للكون صانعاً واجب الوجود عالماً حكيما قادراً وان ذلك الصانع واحد لوحدة النظام في الاكوان . وأطلق للعقل البشري ان يجري في سبيله الذي سنته له الفطرة بدون تقييد فنبهه الى أن خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح على وجه يتيسر للبشر أن يستعملها

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في تسخير الفلك لمنافعه وإرسال تلك الرياح لتثير السحاب فينزل من السحاب ماء فتحيى به الارض بعد موتها وتنبت ماشاء الله من النبات والشجر مما فيه رزق الحي وحفاظ حياته — كل من آيات الله عليه أن يتدبر فيها ليصل منها الى معرفته

ثم قد يزيده تنبيهاً بذكر أصل للكون يمكن الوصول الى شيء منه بالبحث في عوالمه فيذكر ما كان عليه الأمر في أول خلق السموات والأرض كما جاء في آية: « أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ » ونحوها من الآيات . وهو إطلاق لعنان العقل ليجري شوطه الذي قدر له في طريق الوصول الى ما كانت عليه الأكوان . وقد يزيد التنبيه تأثيراً في إيقاظ العقل ما يؤيد ذلك من السنة كما جاء في خبر من سأل النبي صلى الله عليه وآله : أين كان ربنا قبل السموات والأرض فاجابه عليه السلام « كان في عماء تحته هواء »[1] والعماء عندهم السحاب . فترى القرآن في مثل هذه المسألة الكبرى لا يقيد العقل بكتاب ، ولا يقف به عند باب ، ولا يطالبه فيه بحساب ؛ فليقرأ القارئ القرآن يغنني عن سرد الآيات الداعية الى النظر في آيات الكون — « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » . « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حباً فمنه يأكلون » — « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » وأمثال ذلك . فلو أردت سرد جميعها لأتيت

(١) رواه ابن جرير والطبراني وابو الشيخ في العظمة عن أبي رزين السائل (رض)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بأكثر من ثلث القرآن بل من نصفه في مقالي هذا .

يذكر القرآن إجمالا من آثار الله في الأكوان تحريكا للعبرة ؛ وتذكيراً بالنعمة ؛ وحفزاً للفكرة ؛ لا تقريراً لقواعد الطبيعة ؛ ولا إلزاما باعتقاد خاص بالخليقة ؛ وهو في الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذا السبيل ، انظر كيف يقرع بالدليل ، « لوكانَ فيهما آلهةٌ الا اللهُ لَفَسَدَتَا » « ما اتَّخَذَ اللهُ من وَلَدٍ وما كان معه منْ إلهٍ إذاً لَذَهَبَ كل إلهٍ بما خَلَقَ ولَعَلاَ بعضُهم على بعضٍ سبحانَ اللهِ عمَّا يَصِفُون »

فالاسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالايمان بالله ووحدانيته لايعتمد على شيء سوى الدليل العقلي ؛ والفكر الانساني الذي يجري على نظامه الفطري ، (وهو مانسميه بالنظام الطبيعي) فلا يدهشك بخارق للعادة ، ولا يغشي بصرك بأطوار غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ، ولا يقطع حركة فكرك بصيحة آلهية ، وقد اتفق المسلمون الا قليلا ممن لايعتد برأيه فيهم على ان الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وانه لايمكن الايمان بالرسل الا بعد الايمان بالله . فلا يصح ان يؤخذ الايمان بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة [1] فانه لايعقل ان تؤمن بكتاب أنزله الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز ان ينزل كتاباً أو يرسل رسولا .

وقالوا كذلك ان أول واجب يلزم المكلف أن يأتي به هو النظر

---

(١) المنار — أى لا يؤخذ منها بالتسليم بناءً على انها من الله ولا ينا في هذا أن يؤخذ الايمان بالله من كلام الرسل وكتبهم بما يقيمون من البرهان على ذلك لابمجرد التسليم ولا باعتبار أنهم رسل الله ثم بعد الايمان بالله وبهم يكمل ايمانه بالاخذ عنهم

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

والفكر لتحصيل الاعتقاد بالله لينتقل منه الى تحصيل الايمان بالرسل وما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة

وأما الدعوة الثانية فهي التي يحتج بها الاسلام بخارق العادة وما أدراك ماهو الخارق للعادة الذي يعتمد عليه الاسلام ، في دعوته الى التصديق برسالة النبي عليه السلام ، هذا الخارق للعادة هو الذي تواتر خبره ، ولم ينقطع أثره ، هذا هو الدليل وحده وما عداه مما ورد في الأخبار سواء صح سندها او اشتهر أو ضعف أو وهى فليس مما يوجب القطع عند المسلمين . فاذا أورد في مقام الاستدلال فهو على سبيل تقوية العقد لمن حصل أصله ، وفضل من التأكيد لمن سلمه من أهله . ذلك الخارق المتواتر المعول عليه في الاستدلال لتحصيل اليقين هو القرآن وحده . والدليل على انه معجزة خارقة للعادة تدل على ان موحيه هو الله وحده وليس من اختراع البشر هو انه جاء من لسان أمي لم يتعلم الكتابة ولم يمارس العلوم وقد نزل على وتيرة واحدة هادياً للضال مقوماً للعوج كاملاً بنظام عام لحياة من يهتدي به من الأمم مختلفاً لهم من غير أن [illegible] وهو مع ذلك من بلاغة الأسلوب بما لا يرتقي اليه كلام سواه حتى لقد دعي الفصحاء والبلغاء ان يعارضوه بمثله فعجزوا ولجأوا الى المجالدة بالسيوف وسفك الدماء واضطرهم التحدي به الى ان ألجأوهم الى الدفاع عن دينهم وكل من أمرهم ما كانت من تقدم الحق على الباطل وظهور شمس الاسلام تسير حثيثا بأضوائها وتنشر أنوارها في جوانبها ،

وهذا الخارق قد دعا الناس الى النظر فيه بمتوضم وطولبوا بأن يأتوا

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

في نظرهم على آخر ماتنتهي اليه قوتهم فإما وجدوا طريقاً لابطال إعجازه أو كونه لايصلح دليلا على المدعى فعليهم ان يأتوا به . قال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » وقال : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » وقال غير ذلك مما هو مطالبة بمقارعة الحجة بالحجة ولم يطالبهم بمجرد التسليم على وغم من العقل

معجزة القرآن جامع من القول والعلم ، وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم ، فهي معجزة عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها وأطلقت له حق النظر في أحنائها ، ونشر ما انطوى في أثنائها ، وله منها حظه الذي لاينتقض . فهي معجزة أعجزت كل طوق ان يأتي بمثلها ، ولكنها دعت كل قدرة ان تتناول ماتشاء منها ، أما معجزة موت حيّ بلا سبب معروف للموت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أو شفاء علة من بدن فهي مما ينقطع عنده العقل . ويجب تنزيه الرسل عنها ، وانما يأتي بها الله على يد رسله لإسكات أقوام غلبهم الوهم ، ولم تضئ عقولهم بنور العلم ، وهكذا يقيم الله بقدرته من الآيات ، للأمم على حسب الاستعدادات ،[1]

ثم ان الاسلام لم يتخذ من خوارق العادات دليلا على الحق لغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم ترد فيه كلمة واحدة تشير الى ان الداعين اليه يمكنهم ان يغيروا شيئاً من سنة الله في الخليقة ولا حاجة الى بيان ذلك فهو أشهر من ان يحتاج الى تعريف

(١) راجع الصفحة ٣٧١ من مجلد المنار الرابع وانظر الكلام في الآيات الكونية والآيات النفسية العلمية

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

الاصل الأول للاسلام النظر العقلي لتحصيل الايمان

فأول أساس وضع عليه الاسلام هو النظر العقلي . والنظر عنده هو وسيلة الايمان الصحيح فقد أقامك معه على سبيل المحجة وقاضاك الى العقل ومن قاضاك الى حاكم فقد أذعن الى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك ان يجور أو يثور عليه

بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة إن الذي يستقصي جهده في الوصول الى الحق ثم لم يصل اليه ومات طالباً غير واقف عند الظن فهو ناج . فأيُّ سمة لا ينظر اليها الحرج أكمل من هذه السمة

الاصل الثاني الاسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض

أسرع اليك بذكر أصل يتبع هذا الاصل المتقدم قبل أن أنتقل الى غيره : اتفق أهل الملة الاسلامية الا قليلا ممن لا ينظر اليه على انه اذا تعارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل وبقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالعجز عن فهمه ، وتفويض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوانين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبته العقل . وبهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم مهدت بين يدي العقل كل سبيل ، وأزيلت من سبيله جميع العقبات ، واتسع له المجال الى غير حد ، فماذا عساه يبلغ نظر الفيلسوف حتى يذهب الى ما هو أبعد من هذا؟ وأي فضاء يسع أهل النظر وطلاب العلوم ان لم يسعهم هذا الفضاء؟ ان لم يكن في هذا متسع لهم فلا وسعتهم أرض بجبالها ووهادها ، ولا سماء بأجرامها وأبعادها ،

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أصل ثالث من أصول الاحكام في الاسلام البعد عن التكفير

هلاّ ذهبتُ من هذين الاصلين الى ما اشتهر بين المسلمين وعرف من قواعد أحكام دينهم وهو : اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من مئة وجه ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل على الايمان ولا يجوز حمله على الكفر . فهل رأيت تسامحاً مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من هذا ؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحمق بحيث يقول قولا لايحتمل الايمان من وجه واحد من مئة وجه ؟ اذا بلغ به الحمق هذا المبلغ كان الاجدر به أن يذوق حكم محكمة التفتيش البابوية ويؤخذ بيديه ورجليه فيلقى فى النار .

أصل رابع في الاسلام الاعتبار بسنن الله في الخلق

يتبع ذلك الأصل الاول فى الاعتقاد - وهو أن لا يعوّل بعد الانبياء فى الدعوة الى الحق على غير الدليل وأن لا ينظر الى العجائب والغرائب وخوارق العادات — أصل آخر وضع لتقويم ملكات الأنفس القائمة على طريق الاسلام وإصلاح أعمالها فى معاشها ومعادها . ذلك هو أصل العبرة بسنّة الله فيمن مضى ومن حضر من البشر وفى آثار سيرهم فيهم . فما جاء في الكتاب العزيز مقرراً لهذا الأصل « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبةُ المكذبين — سُنَّةَ مَنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا ولن تجدَ لسُنَّتِنَا تحويلاً — فهل يَنْظُرُونَ إلاّ سُنَّةَ الأَوَّلِينَ فلن تجدَ لِسُنَّةِ اللهِ تبديلاً ولن تجدَ لسُنَّةِ اللهِ تحويلاً — أولم يسيروا فى الارض فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلهم » الخ

فى هذا يصرح الكتاب بأن لله في الأمم والأكوان سنناً لا تتبدل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والسنن الطرائق الثابتة التي يجري عليها الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار وهي التي تسمّى شرائع أو نواميس ويعبّر عنها قوم بالقوانين. مائنا ولا اختلافه الباوات. الذي ينادي به الكتاب ان نظام الجمعية البشرية وما يجدّ فيها هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدّل وعلى من يطلب السعادة في هذا الاجتماع أن ينظر في أصول هذا النظام حتى يردّ اليها أعماله ويبني عليها سيرته وما يأخذ به نفسه. فإن غفل عن ذلك غافل فلا ينتظرن الا الشقاء وان ارتفع الى الصالحين نسبه، أو اتّصل بالمقربين سببه، فهما بحث الناظر وفكّر، وكشف وقرّر، وأتى لنا باحكام تلك السنن، فهو يجري مع طبيعة الدين، وطبيعة الدين لا تجافي عنه، ولا تنفر منه، فلِمَ لا يعظم تسامحها معه؟

جاء الاسلام لمحو الوثنية عربية كانت أو يونانية أو رومانية أو غيرها في أي لباس وجدت، وفي أيّ صورة ظهرت؛ وتحت أيّ اسم عرفت؛ ولكنّ كتابه عربي والعربية لغة أولئك الوثنيين، أعدائه الاقربين، وفهم معناه موقوف على معرفة اوضاع اللسان ولا تعرف أوضاعه حتى تعرف مواضع استعمال كلمه وأساليبه، ولن يكون ذلك الا بحفظ ما نطق به العرب من منظوم ومنثور وفيه من آدابهم وعاداتهم واعتقاداتهم ما يبدو عند الناظر في كلامهم صورة كاملة من جاهليتهم وما فيها من الوثنية وأطوارها. هكذا صنع المسلمون الأولون سرّ كبوا الأسفار، وأنفقوا الاعمار، وبذلوا الدرهم والدينار، في جمع كلام العرب وحفظه وتدوينه وتفسيره توسّلا بذلك الى فهم كتابهم المنزل فكانوا بذلك مصيباً من ضروب العبادة يرجون من الله فيه حسن المثوبة. فكان من طبيعة الدين أن لا يحتقر العلم الذي ولد هو فيه. بل قد يكون من الدين علم ما ليس منه متى حسنت النية

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

في تناوله . وهـذا باب من التسامح لا يقدر سعته الا أهل العلم به . أما المسيحيون الاولون فقد هجروا لسان المسيح عليه السلام سريانيا كان او عبرانيا وكتبوا الاناجيل باللغة اليونانية ولم يكتب في العبرية الا انجيل متى فيما يقال . الا ترى أن اسم الانجيل نفسه يوناني؟ كل ذلك كراهة لليهود الذين كان ينطق المسيح بلسانهم ويعظهم بلغتهم . وتحرجا من النظر في دواوين آدابهم، وما توارثوا من عاداتهم

الأصل الرابع للاسلام قلب السلطة الدينية «١»

أصل من أصول الاسلام انتقل اليه وما أجله من أصل — قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسها. هدم الاسلام بناء تلك السلطة ومحا أثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله اسم ولا رسم . لم يدع الاسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد ولا سيطرة على ايمانه (على ان الرسول عليه السلام كان مبلغا ومذكراً لا مهيمناً ومسيطراً . قال تعالى « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَيْطِرٍ ») ولم يجعل لاحد من أهله أن يحل ولا أن يربط لا في الارض ولا في السماء . بل الايمان يعتق المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده ، ويرفع عنه كل رق الا العبودية لله وحده ، وليس لمسلم مهما علا كعبه في الاسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه الا حق النصيحة والارشاد . قال تعالى في وصف الناجين : « وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » وقال : « وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

(١) هذا الاصل هو ضد الاصل الثاني من أصول النصرانية (راجع ص ٤١٤)

www.alukah.net تحميل من شبكة الألوكة

المفلحون» وقال: «فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين وليُنذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون» فالمسلمون يتناصحون ثم هم يقيمون أمة تدعو الى الخير وهم المراقبون عليها يردونها الى السبيل السوي اذا انحرفت عنه. وتلك الأمة ليس لها فيهم الا الدعوة والتذكير، والانذار والتحذير، ولا يجوز لها ولا لأحد من الناس أن يتتبع عورة أحد. ولا يسوغ لقوي ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد. وليس يجب على مسلم أن يأخذ عقيدته أو يتلقى أصول ما يعمل به عن أحد الا عن كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله من كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف. وإنما يجب عليه قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله للفهم كقواعد اللغة العربية وآدابها وأساليبها وأحوال العرب خاصة في زمان البعثة وما كان الناس عليه زمن النبي صلى الله عليه وسلم وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحي وشيء من الناسخ والمنسوخ من الآثار. فان لم تسمح له حاله بالوصول الى ما يعده لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه إلا أن يسأل العارفين بهما. وله بل عليه أن يطالب المجيب بالدليل على ما يجيب به سواء كان السؤال في أمر الاعتقاد أو في حكم عمل من الاعمال. فليس في الاسلام ما يسمى عند قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه

السلطان في الاسلام

لكن الاسلام دين وشرع فقد وضع حدوداً ورسم حقوقاً. وليس كل معتقد في ظاهر أمره بحكم يجري عليه في عمله. فقد يغلب الهوى وتحكم الشهوة. فيفسط الحق. أو يتعدى المتعدي الحد. فلا تكمل الحكمة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

من تشريع الاحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود. وتنفيذ حكم القاضي بالحق. وصون نظام الجماعة. وتلك القوة لا يجوز ان تكون فوضى فى عدد كثير فلا بد أن تكون فى واحد وهو السلطان أو الخليفة

الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم. ولا هو مهبط الوحي. ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة. نعم شرط فيه أن يكون مجتهداً أي أن يكون من العلم باللغة العربية وما معها مما تقدم ذكره بحيث يتيسر له ان يفهم من الكتاب والسنة مايحتاج اليه من الاحكام حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل. والصحيح والفاسد. ويسهل عليه إقامة العدل الذى يطالبه به الدين والأمة معاً.

هو على هذا — لايخصه الدين فى فهم الكتاب والعلم بالأحكام بمزية، ولا يرتفع به الى منزلة، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء، إنما يتفاضلون بصفاء العقل، وكثرة الاصابة في الحكم،[1] ثم هو مطاع مادام على المحجة ونهج الكتاب والسنة، والمسلمون له بالمرصاد، فاذا انحرف عن النهج أقاموه عليه، واذا اعوج قوّموه بالنصيحة والإعذار اليه،[2] « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق »[3] فاذا فارق الكتاب والسنة في عمله، وجب عليهم ان يستبدلوا به غيره، مالم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة

---

(١) المنار — من شواهد ذلك ارتفاع قدر العلماء على الخلفاء الذين قصروا عنهم فى الفهم والعلم. ألم يأتك نبأ الامام مالك مع الخليفة هرون الرشيد (رحمهما الله) وكيف أنزل الامام الخليفة عن المنصة وأقعده مع العامة عند القاء الدرس لأنه فى رتبة المستفيد (٢) من شواهد ذلك قول الخليفة الأول رضى الله عنه فى خطبته (وان زغت فقوموني) راجع ٧٣٤ من مجلد المنار الرابع (٣) حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما (راجع ٧٣٢ من مجلد المنار الرابع)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فيه .[1] فالأمة أو نائب الأمة هو الذي ينصبه ، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي التي تخلعه متى رأت ذلك من مصلحتها ، فهو حاكم مدنيٌّ من جميع الوجوه .

ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج (تيوكراتيك) أي سلطان الهي . فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله وله حق الأثرة بالتشريع ، وله في رقاب الناس حق الطاعة لا بالبيعة وما تقتضيه من العدل وحماية الحوزة بل بمقتضى الأيمان فليس للمؤمن مادام مؤمناً ان يخالفه وان اعتقدانه عدوٌّ لدين الله ، وشهدت عيناه من أعماله مالا ينطبق على مايعرفه من شرائعه ، لأن عمل صاحب صاحب السلطان الديني وقوله في أي مظهر ظهر اهو دينٌ وشرع . هكذا كانت سلطة الكنيسة في القرون الوسطى . ولا تزال الكنيسة تدعي الحق فى هذه السلطة الى اليوم كما سبقت الاشارة اليه

كان من أعمال التمدن الحديث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية فترك للكنيسة حق السيطرة على الاعتقاد والأعمال فيما هو من معاملة العبد لربه . تشرع وتنسخ ماتشاء ، وتراقب وتحاسب كما تشاء ، وتحرم وتعطي كما تريد ، وخوّل السلطة المدنية حق التشريع فى معاملات الناس بعضهم لبعض . وحق السيطرة على مايحفظ نظام اجتماعهم ، فى معاشهم لا فى معادهم ، وعدُّوا هذا الفصل منبعاً للخير الأعم عندهم . ثم هم يهمون فيما يرمون به الاسلام من انه يحتّم قرن السلطتين فى شخص واحد .

(١) مثال ذلك ان يكون له عصبية أقوى من الأمة يخشى ان يبيدها بها « درء المفاسد مقدم على جلب المصالح »

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ويظنون ان معنى ذلك في رأي المسلم ان السلطان هو مقرّر الدين وهو واضع أحكامه وهو منفذها والايمان آلة في يده يتصرف بها في القلوب بالإخضاع ، وفي العقول بالإقناع ، وما العقل والوجدان عنده الامتاع ، ويبنون على ذلك ان المسلم مستعبد لسلطانه بدينه . وقد عهدوا ان سلطان الدين عندهم كان يحارب العلم ، ويحمي حقيقة الجهل ، فلا يتيسر للدين الاسلامي ان يأخذ بالتسامح مع العلم مادام من أصوله أن إقامة السلطان واجبة بمقتضى الدين . وقد تبين لك ان هذا كله خطأ محض ويُعدُّ عن فهم معنى ذلك الأصل من أصول الاسلام . وعلمت أن ليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير عن الشر ؛ وهي سلطة خوّلها الله لأدنى المسلمين يقرع بها أنف أعلاهم ، كما خولها لاعلاهم يتناول بها من أدناهم ، ومن هنا تعلم « الجامعة » ان مسألة السلطان في دين الاسلام ليست مما يضيق به صدره ، وتحرج به نفسه عن احتمال العلم ، وقد تقدم مايشير الى ما صنع الخلفاء العباسيون والأمويون الأندلسيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء . وربما أتينا على شيء آخر منه فيما بعد

يقولون : ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للقاضي أو المفتي أو شيخ الاسلام . وأقول : ان الاسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام . وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قررها الشرع الاسلامي . ولا يسوغ لواحد منهم ان يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه أو ينازعه في طريق نظره

الاصل الخامس للاسلام حماية الدعوة لمنع الفتنة عن المسلمين

قالوا : إن الدين الاسلامي دين جهادي شرع فيه القتال ولم يكن

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

شرع في الدين المسيحي ففي طبيعة الدين روح الشدة على من يخالفه وليس فيها ذلك الصبر والاحتمال اللذان تقضي بهما شريعة المسالمة وهي الشريعة التي وردت في كثير من الوصايا المسيحية « من ضربك على خدك الايسر فادر له خدك الأيمن من سخرك ميلا فسر معه ميلين » ونحو ذلك. حتى لقد طلبت فيها محبة الاعداء وإن كانت محبة العدو مما لا يدخل تحت الاختيار بل ولا محبة الصديق وانما الاختياري العدل بين الاعداء والاولياء. لكن في ملكوت الله كل شيء مستطاع ولا شيء فيه بمستحيل. قلنا: لكن انظروا هل دفع الشر بالشر عند القدرة عليه وعند عدم التمكن من سواه خاصٌّ بالدين الاسلامي أو هو في طبيعة كل قادر يُعْذِرُ الى خصمه ؟. ليس القتل في طبيعة الاسلام بل في طبيعته العفو والمسامحة : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » ولكن القتال فيه لردّ اعتداء المعتدين على الحق وأهله الى أن يأمن شرهم ويضمن السلامة من غوائلهم. ولم يكن ذلك للإكراه على الدين ولا للانتقام من مخالفيه. ولهذا لا تسمع في تاريخ الفتوح الاسلامية، ما تسمعه في الحروب المسيحية، عند ما اقتدر أصحاب « شريعة المسالمة » على محاربة غيرهم من قتل الشيوخ والنساء والاطفال.

لم تقع حرب إسلامية بقصد الإبادة كما وقع كثير من الحروب بهذا القصد بأيدي المسيحيين. وإنما كان الصبر والمسالمة ديناً عند ما كانت القدرة والقوة تعوزان الدين. وغاية ما يقال إن العناية الالهية منحت الاسلام في الزمن القصير من القوة على مدافعة أعدائه مالم تمنحه لغيره في الزمن الطويل. فتيسر له في شبيبته مالم يتيسر لغيره الا في كهولته أو شيخوخته.

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

مقابلة بين الاسلام الحربي والمسيحية السلمية

الاسلام الحربي كان يكتفي من الفتح بادخال الارض المفتوحة تحت سلطانه ثم يترك الناس وما كانوا عليه من الدين يؤدون مايجب عليهم في اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد . وإنما يكلفهم بجزية يدفعونها لتكون عونا على صيانتهم والمحافظة على أمنهم في ديارهم وهم في عقائدهم ومعابدهم وعاداتهم بعد ذلك أحرار لايضايقون في عمل ولا يضامون في معاملة . خلفاء المسلمين كانوا يوصون قوادهم باحترام العباد الذين انقطعوا عن العامة في الصوامع والاديار لمجرد العبادة كما كانوا يوصونهم باحترام دماء النساء والاطفال ، وكل من لم يعن على القتال . جاءت السنة المتواترة بالنهي عن إيذاء أهل الذمة وبتقرير مالهم من الحقوق على المسلمين (لهم مالنا وعليهم ماعلينا) و (من آذى ذمياً فليس منا) واستمر العمل على ذلك ما استمرت قوة الاسلام . ولست أبالي اذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الاحكام ، عند ما بدأ الضعف في الاسلام ، — وضيق الصدر من طبع الضعيف — فذلك عما لايلصق بطبيعته ، ولايخلط بطينته ،

المسيحية السلمية كانت ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطانها تراقب أعمال أهله وتخصصهم دون الناس بضروب من المعاملة لايحتملها الصبر مهما عظم . حتى اذا تمت لها القدرة على طردهم بعد العجز عن إخراجهم من دينهم وتعبيدهم أجلتهم عن ديارهم ، وغسلت الديار من آثارهم كما حصل ويحصل في كل أرض استولت عليها أمة مسيحية استيلاء حقيقياً . لايمنع غير المسيحي من تعدي المسيحي الاكثرة العدد ، أو شدة العضد ، كما شاهد التاريخ وكما يشهد كاتبوه . ذلك كله لأنه ماجاء ليلقي

سلاماً بل سيفاً ولأنه جاء ليفرق بين البنت وأمها والابن وأبيه[1] والاسلام يقول كتابه في شأن الوالدين : « وإن جاهداك على أن تشرك بي ماليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب اليّ » فهو في اشتداده على المهددين لأمنه لايقضي بالفرقة بين أب وابن ولا بين أم وبنت . بل يأمر الأولاد المؤمنين ان يصحبوا آباءهم المشركين بالمعروف في الدنيا مع محافظتهم على دينهم

(١) تقدم نص إنجيل متى في هذا . ومثله قول انجيل لوقا ١٥ — ٢٥ و ٢٦ (وقال لهم (يسوع) ان كان احد يأتي اليّ ولايبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضا فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً) . وفي الباب ١٩ من هذا الانجيل مانصه (٢٧ أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم تأتوا بهم الى هنا واذبحوهم قدامي) . وأما أسفار التوراة فقد جاء فيها نحو ذلك في القسوة مع الاهلين المخالفين ومع سائر المحاربين . قال في ١٣ : ٦ — ٩ من تثنية الاشتراع (واذا اغواك سراً أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضنك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلا نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض الى أقصائها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا تقتله : الخ)

وفي سفر التثنية أيضاً (٢٠ : ١٠ — ١٦) مانصه (حين تقرب من مدينة لتحاربها الى الصلح فان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للسخير ويستعبد لك . وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فحاصرها واذا دفعها الرب آلهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والاطفال والبهائم وكل مافي المدينة كل غنيمتها فتغنمها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك الذي أعطاك الرب آلهك . وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جداً منك التي ليست من مدن هؤلاء الامم هنا . وأما من مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب آلهك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

فانت ترى الاسلام من جهة يكتفي من الأمم والطوائف التي يغلب على أرضها بشيء من المال أقل مما كانوا يؤدونه من قبل تغلبه عليهم وبأن يعيشوا في هدوء لا يعكرون منه صفو الدولة ولا يخلون بنظام السلطة العامة. ثم يرخي لهم بعد ذلك عنان الاختيار في شؤونهم الخاصة بهم لا رقيب عليهم فيها الا ضمائرهم. ومن جهة أخرى ينهى أفراد المؤمنين عن مقاطعة ذوي قرباهم من المشركين ويطالبهم بحسن معاملتهم. ففي طبيعته ان يكل أمر الناس في سرائرهم الى ربهم، وفي طبيعته ان يجير من لا يعتقد عقيدته، ويحمي من لا يتبع سنته، وان كان في عمى من الجهالة؛ وخبل من الضلالة؛ أفترى انه يصعب عليه بعد ذلك ان يحتمل العلم والعلماء؛ ويضيق به حلمه عن صنع الجميل بالفضل والفضلاء؛ ممن ينفق عمره في تقرير حقيقة؛ أو كشف غامض أو تبيين طريقة..؛ كلا ثم كلا. فمن بحث ونقب، وسبر ونقر، أو شق الأرض، أو ارتقى الى السماء، فهو في أمن من ان يعرض الاسلام له في شيء من عمله الا أن يحدث شغباً، أو يفسد أدباً، فعند ذلك تمتد يد الملك لرد كيد الكائد، وإصلاح الفاسد، بسماح من الدين

الاصل السادس مودة المخالفين في العقيدة (١)

المصاهرة — أباح الاسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية نصرانية كانت أو يهودية وجعل من حقوق الزوجة الكتابية على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها، والقيام بفروض عبادتها، والذهاب الى كنيستها أو بيعتها، وهي منه بمنزلة البعض من الكل، وألزم له من الظل، وصاحبته في السر

(١) هذا الاصل الاسلامي هو ضد الاصل السادس للنصرانية (راجع ص ٤١٨)

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والذل ، والترحال والحل ، بهجة قلبه ، وريحانة نفسه ، وأميرة بيته ، وأم بناته وبنيه ، تتصرف فيهم كما تتصرف فيه ، لم يفرق الدين في حقوق الزوجية بين الزوجة المسلمة والزوجة الكتابية . ولم تخرج الزوجة الكتابية باختلافها في العقيدة مع زوجها من حكم قوله تعالى : « وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » فلها حظها من المودة ، ونصيبها من الرحمة ، وهي كما هي . وهو يسكن اليها كما تسكن اليه ، وهو لباس لها كما أنها لباس له ، أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ماعهد في طبيعة البشر . وما أجلى مايظهر من ذلك بين الأولاد وأخوالهم ؛ وذوي القربى لوالدتهم ؛ أيغيب عنك مايستحكم من ربط الألفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح الذي لم يعهد عند من سبق ولافيمن لحق من أهل الدينين السابقين عليه[1]

ولا يخفى على صحيح النظر ان تقرير التسامح على هذا الوجه في نشأة الدين مما يعود القلوب على الشعور بأن الدين معاملة بين العبد وربه ؛ والعقيدة طور من أطوار القلوب ؛ يجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب ؛ فهو

(١) المنار — يقول بعض النصارى : اذا كان الاسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتابية ليعلم البشر التآلف والتعاطف ، مع التباين في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح للكتابي أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لأنهم أقوى منهن فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين زوجته الضعيفة ويأمره ببغضها وببغض أولاده ووالديه اذا خالفوا عقيدته أن يتزوج بامرأة مخالفة . أباح الاسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الذي يحاسب عليها ؛ أما المخلوق فلا تطول يده اليها ؛ وغاية ما يكون من العارف بالحق ان ينبه الغافل ؛ ويعلم الجاهل ؛ وينصح للغاوي ؛ ويرشد الضال ؛ لا يكفر في ذلك نعمة العشير ؛ ولا يسلك به مسالك التعسير ؛ ولا يقطع أمل النصير ، ولا يخالف سنة الوفاء ؛ ولا يحيد عن شرائع الصدق في الولاء ،

ماذا ترى في الزوجة الكتابية لو كانت من أهل النظر العقلي وذهبت مذهباً يخالف مذهب زوجها ؛ أفينقص ذلك من مودته لها ؛ أو يضعف من شعور الرحمة التي أفاضها الله بينه وبينها ، فاذا كان المسلم يتعود الاحتمال بل يتعود المحبة والنصرة لمن يخالفه في عقيدته ؛ ودينه وملته ، ويألف مخالطته وعشرته ؛ وولايته ونصرته ؛ أتراه لا يحتمل أن يرى بجواره من يعمل نظره في نظام الخليقة ليصل منه الى اكتشاف سر أو تقرير أصل في علم أو قاعدة لصناعة وان كان قد يخالف ظاهراً مما يعتقد ؛ أو يميل الى رأي غير الذي يجد ؛ أفلا يسع هذا مايسع المجاهر بالخلاف ؛ وهو منه على ما رأيت من الائتلاف ٠ ؟ ؟

لو ذهبت أعدد ما في طبيعة الاسلام من عناصر وأركان كلها تؤلف مزاج الكرم ؛ وتكون حقيقة المسامحة مع العلم ؛ لأطلت على القارئ أكثر مما أطلت ٠ ولهذا أرى من الواجب علي أن أختم القول بذكر أصل أشرت اليه ولا غنى لما نحن فيه عن ذكره

الأصل السابع للاسلام الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة (١)

الصحة الحياة في الاسلام مقدمة على الدين ، أوامر الحنيفية السمحة ان كانت

(١) هذا الاصل ضد الاصل ٣ من المنار (راجع ٤١٣ من المنار)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

تختطف العبد الى ربه ، وتملأ قلبه من رهبه ، وتقمع أمله من رغبه ، فهي مع ذلك لا تأخذه عن كسبه ، ولا تحرمه من التمتع به ، ولا توجب عليه تقشف الزهادة ، ولا تجشمه فى ترك اللذات مافوق العادة ،

صاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم لم يقل « بع ماتملك واتبعني » ولكن قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله « الثلث والثلث كثير إنك ان تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس »(١)

الرخص — فرض الصوم على المؤمنين لكن اذا خشي منه المرض أوزيادته أو زادت المشقة فيه جاز تركه بل قد يجب اذا غلب على الظن الضرر فيه . الوضوء والغسل من شروط الصحة للصلاة الا اذا خشي منه الضرر أو عرضت مشقة فى تحصيل الماء . القيام مما لاتصح الصلاة الا به الا اذا أصابت المصلي مشقة فيه فيسقط ويصلي قاعداً . السعي الى الجمعة واجب الا اذا كان وَحَلٌ غزير أو مطر كثير أو مايوجب تعباً ومشقة فيسقط . وهكذا تجد القاعدة قد عمت : « صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان » فترى الدين قد راعى فى أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح

الزينة والطيبات — أباح الاسلام لأهله التجمل بأنواع الزينة والتوسع فى التمتع بالمشتهيات على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية ، والوقوف عند الحدود

(١) المنار — يشير الكاتب الى حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الاربعة . كان سعد مريضاً في حجة الوداع فعاده النبي صلى الله عليه وسلم وكان عازماً على الصدقة بثلثي ماله وفي رواية بماله كله فسأله النبي عما ترك لولده فقال هم أغنياء . وفي رواية الجماعة انه لم يكن له الا بنت . وفي رواية أحمد والنسائي انه أمره أولا بان يتصدق بالعشر . والحاصل انه ما زال يراجعه حتى رضي صلى الله عليه وسلم بالثلث وحرم الزيادة بالحديث

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الشرعية، والمحافظة على صفات الرجولية، جاء في الكتاب العزيز: «يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا إنه لا يحب المسرفين. قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق؟ قل هي للذين آمنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون. قل إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن والإثم والبغي بغير الحق وأن تشركوا بالله ما لم ينزل به سلطانا وأن تقولوا على الله ما لا تعلمون» (سورة الأعراف) ثم عد الله النعيم والجمال والزينة من نعمه علينا التي يذكرنا بها فضله، ويهيج بها نفوسنا لذكره وشكره، كما قال: «والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون. ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس إن ربكم لرؤف رحيم. والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق ما لا تعلمون» ثم قال: «وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحما طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» (سورة النحل).

الاقتصاد — ووضع قانونا للانفاق وحفظ المال في قوله: «إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا. ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا» (سورة الاسراء)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

النهي عن الغلو في الدين — وخشي على المؤمن ان يَغْلُوَ في طلب الآخرة فيهلك دنياه وينْسَى نفسه منها فذكرنا بما قصه علينا أن الآخرة يمكن نيلها مع التمتع بنعم الله علينا في الدنيا اذ قال : « وابتغ فيما آتاكَ اللهُ الدارَ الآخرة ولا تنسَ نصيبكَ منَ الدُّنيا وأحسنْ كما أحسنَ اللهُ اليكَ ولا تبغِ الفسادَ في الأرض انَّ اللهَ لا يحبُّ المفسدينَ »

فترى ان الاسلام لم يخس الحواس حقَّها ، كما انه هيأ الروح لبلوغ كمالها ؛ فهو الذي جمع للانسان اجزاء حقيقته واعتبره حيواناً ناطقاً لا جسمانيا صرفا ، ولا ملكوتيا بحتا ، جعله من اهل الدنيا كما هو من أهل الآخرة . استبقاه من أهل هذا العالم الجسداني ، كما دعاه الى أن يطلب مقامه الروحاني ، اليس يكون بذلك وبما بيّنه في قوله : « هوَ الذي خلقَ لكم ما في الارض جميعاً » قد أطلق القيد عن قواه ، لتصل من رَفَه الحياة (مع القصد) الى منتهاه ، والنفوس مطبوعة على التنافس قد غرز فيها حب التسابق فيما تعتقده خيراً ، أو تجده لذيذا او تظنه نافعاً

وليس في الغريزة الانسانية ان يقف بها الطالب عند حدٍّ محدود ، او ينتهي بها السعي الى غاية لا مُطَّلَعَ للرغبة وراءها ، بل خصها الله بالمكنة من الرقي في أطوار الكمال من جميع وجوهه الى ما شاء الله ان ترقى بدون حدٍّ معروف .

فاذا جمع سائق الانفس ومزْجيها ، ومرشدها وهاديها ، بين شاحذين شاحذِ التمتع بمتاع الحياة الدنيا ، وشاحذِ الرغبة في النعيم الدائم في الاخرة ، فقد جمع لها كل ما يسمو بها عن الرضاء في الدنيا بالدون ، وفي الاخرة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بمذاب الهون ، فترى كل نفس تمضي مع استعدادها ، بشهامة فؤادها ، مضاء الزميع [1] لا تخشى العثرة بالوعيد ، ولا تقعد عن مطلبها قعدة الرعديد [2] فتطلب منافعها ، من هذا الكون الذي وُجدت فيه ووجد لها ، فتسير فى مناكب الارض ، ولا تكتفي عن الكل بالبعض ، وتبحث فى تربتها ، ولا يقف بها ظاهرها عن باطنها ؛ ولا يحجبها ظهرها ؛ عن مديديها الى ما فى جوفها ، ولا تجد ما يصدُّها عن النظر فى الهواء ، والبحث فى الماء ، والاهتداء بنجوم السماء ، بعد معرفة مواقعها ، وحركاتها فى مداراتها ، واستقامتها وانحرافها ، وظهورها وخنوسها ، وبالجملة فكل مستعدٍ لوجه من وجوه النظر ، او الولوج فى باب من أبواب العلم ، ينطلق الى حيث يبلغ به استعداده إما للنجاة من ضرورة ، وإما لاستتمام منفعة او استكمال لذة ، لا يجد من نواهي الدين ما يصدّه عن مطلب ، ولا ما يكف يده عن تناول رغيبة ، أين هذا من ذاك الذى لا يرى الخلاص الا فى مجافاة هذا العالم ولذائذه ويجد ان الغنى والثروة من الحجب التي لا تُخرق تحول بينه وبين ملكوت السموات

كيف ينبغى للمسلم ان يشكر الله حق شكره ، اذا لم يضع العالم بأسره تحت نظر فكره ، لينفذ من ظاهره الى سرّه ، ويقف على قوانينه وشرائعه ، ويستخدم كل ما يصلح لخدمته فى توفير منافعه ، كيف يشكر الله اذا توانى فى ذلك وقد ارشده الله فى كتابه وبسنة نبيه الى أن عالمه إنما خلق لأجله ، وقد وضعه الله تحت تصرف عقله ، انظر الى لطف الاشارة فى الاية

---

(١) هو الحازم القوي العزيمة يزمع على الأمر فيمضي فيه ولا يثني والحيد الرأي المقدام

(٢) الرعديد الجبان الكثير الارتعاد

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المتقدمة « قل من حرّم زينة الله » الخ حيث قال : « كذلك نفصل الايات لقوم يعلمون » فأهل العلم هم الذين يعرفون مقدار نعم الله تعالى فيما يرفه به معيشتهم ، ويجمّل به هيأتهم ، ويجلي به زينتهم ؛

المسلمون مسوقون بنابل من دينهم الى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد ؛ والعزة والمجد ؛ ولا يرضيهم من ذلك بما دون الغاية ؛ ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم ؛ فهم محفوزون أشدّ الحفز الى طلب العلم وتلمسه في كل مكان ، وتلقيه من أيّة شفة وأي لسان ، فاذا لاقاهم العالم في أي سبيل ، أو عثروا به في أي جيل ، أو ظهر لهم من أي قبيل ، هشوا له وبشوا ، ونصبوا اليه وكمشوا[1] ، وشدوا به أواصرهم ، وعقدوا عليه خناصرهم ، ولا يبالون ما تكون عقيدته ، اذا نفعتهم حكمته ، « الحكمة ضالة المؤمن فحيث وجدها فهو أحق بها » [2] ألم يأتهم عن ربهم : « يُؤتي الحكمةَ مَنْ يشاء ومَنْ يؤتَ الحكمةَ فقد أوتي خيراً كثيراً وما يذّكّرُ الا أُولو الألْبَابَ » ألم يسمعوا في وصفهم قوله : « الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنَهُ » ذلك شأن المسلم مع العلم اذا كان مسلما حقاً . وذلك ما تنجرّ اليه طبيعة دينه . وحديث اطلبوا العلم ولو بالصين » [3] ان كان في سنده

---

(١) لعل نَصَبوا من نَصْب السَّير وهو ان يسير طول يومه سيراً ليّنا . وكَمَشَ الرجل كان سريعاً ماضيا . وكَمْشَ كماشة شجع واسرع (٢) المنار ـ حديث رواه الترمذي عن أبي هريرة ، ورواه غيره بألفاظ أخرى والمعنى واحد . ومنه رواية موقوفة على ابن عمر رضى الله عنهما « خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت » وفي رواية عن علي كرم الله وجهه « الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق (٣) رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الايمان والمدخل وابن عبد البر في العلم والخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وغيرهم وله طرق كثيرة يقوي بعضها بعضا

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لفظه الى النبي صلى الله عليه وسلم مقال فسند معناه متواتر فانه سند القرآن نفسه فان الله يفضل العلم وأهل العلم بدون قيد ولا تخصيص . فالمسلم مطالب بطلب العلم ولو في الصين ولم يكن في الصين مسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم

لا شيء ينقلب عند النفس الانسانية لذة بنفسه وان كان في أول أمره مطلوبا لغيره مثل العلم . تطلب العلم أولا لحاجتك اليه في تقويم معيشة . أو ترفيه حال . أو دفاع عن نفس وملة . ثم لا تلبث اذا أوغلت فيه أن تجد اللذة في العلم نفسه فتصير اللذة بتحصيله والوصول الى دقائقه غاية تقصد بنفسها . وتضمحل فيها كل غاية سواها . وعلة ذلك ظاهرة فان العلم مسرح نظر العقل والعقل قوة من أفضل القوى الانسانية بل هي أفضلها على الحقيقة قد وضع لها العليم الحكيم لذة كما منح لكل قوة سواها نعيما ولذة . ولست في حاجة الى تعديد لذة البصر أو السمع أو الشم أو الذوق أو اللمس فالحيوان يعرفها بلّهَ الانسان . وكلما عظم اختصاص القوة بالنوع عظمت لذته باستعمالها فيما وجهت له فيمكنك ان تستنتج من ذلك ان لا شيء عند الانسان ألذ من كشف المجهول . وإحراز المعقول . وقد سمح الاسلام للمسلم ان يتمتع في هذه الحياة الدنيا بما يلذ له مع القصد والاعتدال . أفلا يكون من لذائذه ومتمات نعيمه أن يسيح في مملكة العلم ليمتع عقله ، كما يسيح في بسيط الأرض ليكسب رزقه ويقيت أهله ، على ان العلم كان من ضروريات معيشة المسلم أو حاجياتها كما ذكرنا فاذا طفق يستنبط ماءه للضرورة ، ويستجلي سناءه للحاجة ، فلا يلبث أن يصير هو حاجة نفسه ، وشاغله عن حاجات حسه ، حتى يدخل معه في رمسه ، كما وقع لكثير من المسلمين . قال امام جليل من أئمتهم « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله » (له بقية)

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

باب التربية وسياسة التعليم

العشرة الثامنة صنه جريدة الراسم (*)

تجلي العلم في العمل

زرت بالأمس أنا وه اميل ه ولولا مسبك قصدير في بانزانس واقع على ضفاف خليج الجيل ولست أقضي العجب من منعطف هذا الخليج الذي كأنه في عظمه وجماله صدر نيتيس (١) أحاطت به السكة الحديدية فجعلت له من شريطها قلادة ه يوجد المسبك نجاه الخليج ويتألف بناؤه من أماكن قديمة تقوم على أعمدة من الخشب تغطيها سُقُفٌ من البلاط الاسود لايتردد الناظر اليها في أن يحسبها سقائف لانخفاضها وانفراجها للرياح من كل ناحية

رأينا في احدى هذه السقائف أكواماً من تراب أسمر يسمى بمعدن الحجر جمعت فيها ووزعت على غير نظام وتحصر أعمال المسبك في احالة هذا التراب القسطني اللون (كذا) الى معدن يطلبه التجار كثيراً

كانت زيارتنا للمسبك في نحو الساعة التاسعة من المساء أي بعد غروب الشمس بزمن طويل في ليلة ظلماء كان يتخلل ظلامها بصيص نار الافران التي بنيت بالآجر وجعل لكل منها باب من حديد في وسطه ثقب مستدير كأنه حدقة من نار

يصهر القصدير وبعد مكابدته محناً مختلفة يجرد مما كان ممتزجاً به من المواد المكدرة لصفائه وهي الحصا والكبريت والنحاس فاذا تم ذلك جاء وقت صبه وهي الساعة المشهورة ه يخرج هذا المعدن الثقيل الصافي من ثقب في أسفل الفرن وقد بلغ من الحرارة درجة البياض ويسقط في خابية من الحديد المصبوب فيذكر الناظر ساعة باستدارة سطحه ولمعانه القمر في احدى ليالي الصيف أبيض ساطعا

اذا صب القصدير في الخابية آخر مرة (ولابد من اذابته أكثر من مرة) ألقيت عليه أغصان من الشجر الاخضر خصوصاً أغصان التفاح فتفوره وتهيجه

(*) معرب من (باب تربية اليافع) من كتاب أميل القرن التاسع عشر في التربية والتعليم

(١) نيتيس جنية من جنيات أساطير اليونان

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وويل حينئذ للعمال أو الناظرين الذين لايبادرون بالابتعاد عنه ليتقوا عوادي هذا المعدن الغضبان. ذلك أن فقاقيع الهواء التي تنفصل منه ترتفع معها قطيرات محرقة تسمع لها نشنشة تنبجس من كل ناحية انبجاس الشرر من باقة نار الزينة

لاجرم ان « اميل » ولولا لم يدركا السر الكيماوي في جميع هذه الاستحالات التي تصاورت معدن الحجر قبل صيرورته قصديراً بل انهما ربما لم يحصل في ذهنهما من مجموع ماحصل من الاعمال الا معنى في غاية الابهام ولكن قد شاقهما من هذا المنظر جدته فانهما رجواني أن آخذهما الى المسبك مرة أخرى

أرى أن القائمين على تربية الناشئين قد أفرطوا في التفريق بين العلم وبين مايربطه بالصناعة من الروابط ومع كوني لا أنكر أن ما في المدارس من المحامل الكيماوية والمجموعات التعليمية والدروس العامة هو من المساعدات العظمى على التعليم واقصد قصداً أكيداً أن أستعين به على تعليم ولدي في مستقبله تراني أفضل الآن أن اختلف به الى معهد آخر تمثل فيه امامه الاعمال وتتراءى له الوقائع

زرنا معاً متحفاً من متاحف الدفائن الأثرية في بانزانس وهي ليست كثيرة في بلاد كرنواي والكثير فيها انما هو المعادن المفيدة كالرصاص والقصدير والنحاس وغيرها من المعادن الحجرية الغريبة فلم يلفت دهن « اميل » ما في خزائنه من قطع هذه الدفائن المرتبة الا قليلا وأما دولوريس فأخص ما استرعى نظرها مايوجد فيها من فلذ البلور وبعض الحجارة التي لو تناولتها يد الصناعة لصارت من مواد الزينة الجميلة

ثم أخذنا طريقنا بعد ذلك بأيام الى متحف كبير يمتد مكشوفاً على ضفاف المحيط بين جبال من الصوان بعجتها يد الانسان فكان مرآه في نظر الفلاحين أحسن من جميع متاحف الدنيا

ففرق عند الطفل بين أن يرى من وراء الزجاج معادن حجرية رتبت في رواق ترتيباً خالياً من دواعي التأثر وبين أن تمثل أمامه الصخور في وضعها الطبيعي ويشاهد الارضين وقد شاه وجهها وانقلبت ظهراً لبطن وكتل البلاط الاسود والرخام السماقي في جسامتها المريعة وقد تناوبها المصدع وبارود المدفع فأوسعاها صدعا وأشبعاها كسرا وقد هاج شوق « اميل » منظر أعمال النحت هيجاً شديداً فطفق يخاطب النحاتين ولا بدع فالانسان في سنه لا يستنكف أن يخاطب كل من

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

يراه لأن قلبه حينئذ لا يكون قد أفسده الكبر وقد استفاد من محاورته معهم فلم تذهب عليه عبثا

ان فق ايقوسيتا اسمه هوج ميلار صار من أشهر العلماء في بريطانيا العظمى ببركة تكسيره الاحجار ونحتها من منحت حجر رملي قديم واستولى استيلاء الملاك على اقليم ذلك المنحت الحافل بالدفائن الاثرية وأصبح اسمه كأنه علم له

ربما احتذى « اميل » مثال هذا العالم اذا زرنا معا اقليم ديقونشاير فاعتضد المطرقة وحمل المتحاف فاني أراه مدفوعاً على ذلك بسائق الطبع لأنه يشتهي كغيره من أترابه أن يهجم على ما يلاقيه من العقبات فيدمره ويزيله ولأن الدفائن الاثرية التي يستخلصها الانسان بنفسه من الصخرة أعلى في نظره كثيراً مما يجده منها مرتباً في المتاحف ذلك لأن آثار الاجسام العضوية تكون غالباً من الاحتباء في باطن الحجر بحيث انه لابد قبل استخلاصها من تميزها منه بل ربما صح لي أن أقول انه لابد من تخمين وجودها بما يبدو من تحت غطائها الجافي من سمة تدل عليها أو طرف من أطرافها ثم ان الصخرة تارة تكون صلبة فتقاوم منحات الناحت وتحتمله وطوراً تكون هشة فتتلاشى وتتفتت وفي كلتا الحالتين يهدم الخرق والخطأ بنقرة واحدة عمل الدهر في قرون كاملة وما أكثر ما يتعلم الطفل في هذا الجهاد. نعم ان « اميل » سيخدع فيه غير مرة وسيتفق له أن يخسر لقطاته أو يعيبها على حين اعتقاده انه حصل عليها سالمة من كل نقص ولكن لاشيء في هذا فان مثله من اليافعين اذا غلبته العقبات المادية وجد عليها وبعثه ذلك على الانتقام لنفسه منها فلا يلبث أن يظفر بها

كأن مشاهدة المناحت واسطة ينتقل بها الذهن من علم طبقات الارض الى فن العمارة فسيذكر « اميل » اذا عرض له في طريقه ما في المدن من الابنية الفخيمة ان حجارتها نحتت من قاع البحار القديمة واذا رأى المعابد والقصور فان نوع حجارتها سيحضر في ذهنه الصخرة التي نحتت منها والمخلوقات العضوية القديمة التي صارت هذه الصخرة رمساً لها.

العلم الذي يحصله الانسان بعرق جبينه ربما لا يكون واسعاً ولكنه يكون متيناً راسخاً خذ لذلك مثلا الزهرة التي تجنى من غور بعد اقتحام ما كان دونها من العقبات يكون لها في ذاكرة جانيها آثار أقوى مما يكون لزهرة رآها بلا عناء بجهزة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

محفوظة في احدى صحف المجموعات النباتية . وما يجمعه المرء بنفسه من المحار والصدف على شاطئ البحر يدرب بصره على ادراك ما يميزه من صفاته الظاهرة أكثر مما يدربه على ذلك ما يوجد منه مرتباً ومعنوناً في رواق معد له فالبحث يكسب البصر واليد دربة ومرانة

أنا لا أشك في ان التجارب الكيماوية والطبيعية مفيدة لمن منحوا الميل الى التعلم ولكني أرى أن عامة الاطفال قد يبدون من الارتياح الى العلم معمولا به في الصناعة ومن الانفعال بما يرونه من آياته فيها أكثر مما يبدونه لمثل هذه التجارب وقلما يوجد معمل من المعامل الكبيرة ألا وهو أيضاً مدرسة كبرى للعقل فما أبهر ما يُرى فيه من قوى للطبيعة مقيدة ومطلقة و(كلٍّ) مؤلف من عجلات وأسنان تسحق الحجر سحقاً وتمضغ الحديد مضغاً وتقطع الخشبَ قطعاً و آلاف مؤلفة من انباض البخار الذي يحرك جسم هذا الكل وانسان استبدل باعضائه هذه الاعضاء الصلبة في كده وكدحه فحلت محله وجرت على مقتضى إرادته وقام هو عليها يلاحظ مجاهداتها العجيبة بعين قريرة ساكنة . نعم ان هذا المشهد لا يأخذ أول الامر الا ببصر اليافع ولكنه متى كان فيه شيء من الشوق الى العلم لا يلبث ان يسأل عن سبب هذه الحركات الاستقلالية وعما للمواد بعضها على بعض من التأثير المتناوب وبالجملة عن سر الطرق التي تحيل المادة الفطرية الى محاصيل صناعية

ليس أحقر الاشياء بأقلها دائماً في صنعه اثارة للشوق ولا ملاحظته بأقل جدوى في التعليم فعلبة الكبريت والدبوس والشمعة (كما بينه فاراداي (١) حق البيان) لها بعلمي الطبيعة والكيميا تعلق يدركه كل واحد من الناس ويعرفه لأول نظرة

أنا أعلم أن تحصيل علم عدة من الصناعات والاختصاص به يقتضي أن يعيش الانسان اضعاف عمره ولذلك لا أرجو مطلقاً أن « اميل » اذا رأى غيره يشتغل بحرفة يحيط خبراً بأسرار العمل فيها . على أن الشبان أقل حاجة الى الوقت من غيره فلو أن القائمين على التعليم احسنوا في توجيهه الى غايته ما شككت ابداً في ان الطفل الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره يتعلم في المعامل شيأ كثيراً

وجملة القول ان لدينا في جميع المدن الكبرى بل وفي القرى كثيراً من معاهد

---

(١) فاراداي عالم انكليزي من أشهر علماء الطبيعة اشتهر بتأليفه في الكهربائية ولد في سنة ١٧٩٤ ومات سنة ١٨٦٧

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

العمل التي لو اختلف الطفل اليها لأدرك بالعيان والحس بعض قوانين المادة وتعلم حب العامل وتعظيمه ولكانت اقل فائدة له من ذلك ملاحظة طرق الصناعة او الزراعة ان لم يباشر شيأ من اعمالها بيديه وتلك مزية اخرى له فليت شعري هل يصح في نظر العقل ان تغفل هذه الينابيع المتدفقة للعرفان وتبخس حقوقها من العناية وتكون دراسة الالفاظ هي موضوع الاهتمام والرعاية اه

آثار علمية دينية

﴿ مثال من أمثلة تسامح الاسلام وضيق صدر المسيحية ﴾

تعرض صاحب مجلة الجامعة للكلام في علم العقائد الاسلامية وهو لاشك جاهل به لانه لو عرفه لكان مسلماً اولو كان مسلما لعرفه فزعم أن علماء الكلام (وهو العلم الذي وضع لاثبات العقائد وردّ الشبه عنها) ينكرون ارتباط الاسباب بالمسببات وان كان القرآن يثبتها . وتعرض للكلام في طبيعة الدينين الاسلامي والمسيحي فزعم أن طبيعة الاسلام تنافي العلم والحكمة دون طبيعة المسيحية ولذلك ارتقت العلوم في أوربا وماتت في البلاد الاسلامية يعني ان طبيعة الاسلام حكمت على المسلمين بالجهل والغباوة والبعد عن المدنية ونتيجة هذا انهم لايرتقون الا اذا تركوا هذا الدين وصاروا نصارى «ولن ترضى عنك اليهودُ ولا النَّصارى حتى تتَّبِع ملتهم قل إن هدى الله هو الهدى » وتعرض للكلام في تاريخ بعض حكماء الاسلام فأورد عنه مايقتضي كفره وهو غير صحيح . كل هذا في جزء واحد من أجزاء مجلته وهو أعظم جناية جناها على قارئيها من المسلمين لانه يشكك غير العالم الراسخ في دينه والشك في الدين كفر

قامت قيامة من اطلع على هذا الجزء من أذكياء المسلمين وعدوا هذه المجلة أضر عليهم من المجلات النصرانية الدينية التي تطعن في الاسلام طعناً صريحاً لأن مجلة الجامعة تكلمهم بلسان العلم المحبوب عندهم بطبيعة دينهم فيخشى أن يغتر الغافل بما فيها وتلك المجلات والجرائد تقابلهم بالعدوان الظاهر فينفرون منها . وقد علم القراء ان المستائين رجعوا الينا والى امام من أئمتنا راغبين في الردّ ورأوا ان ذلك الامام كتب في بيان الحقيقة كتابة أثنى فيها على صاحب الجامعة وعلى مجلته على ما كان منه

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وان تلك الكتابة كانت مثال الأدب والكمال الذى يليق بسعة صدر الاسلام وتسامحه مع المخالفين ، وان كانوا طاعنين وقادحين ، والتمس له العذر على طعنه بالدين القيم وبأعظم علمائه وحكمائه

ورأوا أيضاً ان المنار قد حسن الظن فيه واعتذر عنه وبرأه من سوء القصد . ولكن صاحب الجامعة لم يرض بذلك كله وأثبت لنا في الجزء الاخير انه متعمد لذلك الطعن ومصرٌّ عليه . وقد قابلنا على الاعتذار عنه بالسب والشتم

أما شتمه لنا فلاننا قلنا انه قال ما قال لأنه لا يعرف علم الكلام الاسلامي فنسبنا الى الجهل بعقائد ديننا مكافأة لنا وقال ان تلك المقدمة تنتج هذه النتيجة. يعني ان « الفضيلة والحقيقة والضمير » التي يلهج بأسمائها تقضي علينا ان نقول انه لا يعرف اللغة الفرنسية اذا هو قال اننا لا نعرفها . وأما شتمه للامام صاحب الرد فلم يتحل له سبباً والسبب معروف وهو تأثير النصرانية في عدم التسامح وحملها على الشدة مع المخالف بقدر الاستطاعة . وفي مصر الآن من الحرية مايسمح للصغير ، ان يتسامى ويتسلق للطعن في الكبير ، وربما زين الغرور لصاحبه ان كلام الوضيع في الرفيع هي الطريقة المثلى للانتقال من الضعة الى الرفعة لذلك نرى أكثر المتطفلين على انشاء هذه الجرائد التي تبرز كل حين في مصر ثم تختفي كفقاقيع الماء يستهلون جرائدهم بالنيل من الجرائد الغنية المنتشرة توهما انها تهتم بالرد عليهم فيكونون سواء ، وينالون مانال أولئك من الشهرة والثراء . ولا نرضى هذه الخطة للجامعة وصاحبها

قال بعض الناس الذين رأوا الجامعة الاخيرة للامام : أرأيت ما كان من صاحب الجامعة الذى أثنيت عليه وعلى مجلته حتى رفعتها الى أعلى منزلة للمجلات ... فقال الامام : « لا خسارة في حسن الأدب » ولم يزد على ذلك شيئاً

فهل يتوهم الرصيف المحترم صاحب الجامعة أن صاحب هذا الأدب الباهر يتنازل تواضعاً الى تصحيح مقاله والعناية بارشاده بعد العلم بأنه لا قابلية فيه لذلك ولا استعداد ، ولا يعرف قيمة هذا الارشاد . أم يتوهم ان أحد تلامذته يحفل برد سفسطة الجامعة وتحريفها الكلم لأجل تصحيح أغلاطها . اما ما تفتات به على المسلمين وتتقوله على اعتقادهم فاننا نبين الحق فيه لا بصفة رد أو مناظرة بل نجعله في باب رد شبهات المسيحيين وحجج المسلمين لأن الجامعة التي كان اسمها (الجامعة العثمانية) ثم صار اسمها « الجامعة » فقط قد صارت « الجامعة النصرانية » ولا نصيب صاحبها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

بخدمة الدين الذي ينتسب اليه ولكننا ننصح له بالتروي والاعتدال

« المنار » مجلة ملية كما أنها علمية ادبية وهي مع ذلك لاتتعرض لدين المخالفين الا ردًّا على ما يعتدون به على الاسلام. والجامعة لا تعترف بأنها مجلة ملية مسيحية وهي مع ذلك تطعن في الاسلام والمسلمين ابتداء. وتفتح الكلام في ذلك افتحاراً. فهي في ظاهرها علمية ادبية صحية كالمقتطف والهلال وفي باطنها دينية ملية كراية صهيون وبشائر الاسلام والمشرق ونحب لها ان يكون ظاهرها كباطنها.

قلنا ان صغار التلامذة لا يحفلون برد سفسطة الجامعة التي سمتها رداً فان القيد الذي خلقته لتصحيح زعمها انكار المتكلمين للاسباب « وهو انهم ينكرونها كما يفهم الفلاسفة) لايفيدها شيئاً . فان قولها الأول بالانكار كان مطلقاً وحكم المطلق ان يجري على اطلاقه كما هو معلوم. وقولها ان ابن رشد كفّر الاشعرية وقال بضلالهم لأمور نسبها اليهم منها انكار الاسباب الضرورية. واستدلالها بذلك على ان المتكلمين ينكرون الاسباب كما يفهمها الفلاسفة هو حجة عليها لأن ابن رشد يرد على الاشعرية بذلك ردًّا دينيا — وهو من علماء الدين الراسخين — لأنه بنى عليه التكفير والتضليل والفلاسفة لا يسمون مخالفهم كافراً فكأن ابن رشد يقول ان من انكر الاسباب فهو عند المسلمين كافر اوضالّ لأن من اصول الاسلام التي يشهد لها القرآن وتنطبق على سيرة السلف والخلف المهتدين « ان الأسباب مربوطة بالمسببات وان للكون سنناً ونواميس مطردة » قال الله تعالى فيها « ولن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا »

وأما زعمه ان المعتزلة ليسوا من المتكلمين فكل طالب علم يعرف تقوّله فيه على المسلمين. فالمتكلمون منهم المعتزلة ومنهم الاشاعرة ومنهم الماتريدية . وكذلك الفقهاء منهم الحنفية والشافعية والمالكية . وكما اختلف هؤلاء في بعض المسائل الفقهية وكلهم فقهاء اختلف أولئك في المسائل الكلامية وكلهم متكلمون. والجميع مسلمون من اهل القبلة.

ومن أعجب المزاعم زعمه أن الاعتقاد بوجود النواميس (اي سنن الكون) والاعتقاد بتغيرها نقيضان لايجتمعان. وهو يعلم ان الفلاسفة انفسهم يقولون بإمكان تغيير النواميس بل يقولون بأن التغير حدث ويحدث بالفعل وهو مايعبرون عنه بفلتات الطبيعة. فان احتاج الفلاسفة الى تأويل هذه الفلتات فالمسلمون احوج لأن اساس هذه الفلسفة كلها قوله تعالى : « ولن تجد لسنة الله تبديلا »

ومما يضحك صغار التلامذة استدلاله على معاداة الاسلام للعلم والعقل بكلمة

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

جارية على ألسنة العامة لايعرف قائلها وهي « من تمنطق تزندق » ويفهمون منها ان من تعلم المنطق صار زنديقاً . هذه الكلمة لعاميٍّ مجهول في شخصه وفي ملته ودينه والدليل على كونه عامياً ان معنى « تمنطق » لبس المنطقة وليس معناها انه تعلم المنطق خلافاً لما يوهمه المصباح ، يستدل بهذه الكلمة صاحب الجامعة الذي لايراعي في قوله الا الحقيقة والضمير على ما ذكره ينسى او يتناسى انه لايوجد طالب علم في المسلمين لم يقرأ المنطق وان الازهر لايعطي شهادة العالمية الا لمن يؤدي الامتحان في علم المنطق ومثله جميع المدارس الاسلامية . ومن كلام حجة الاسلام « من لا يعرف المنطق فلا ثقة بعلمه »

لابد أن يكون صاحب الجامعة قد كتب ما ذكرنا عنه وهو يعتقد انه مموِّه ، ويقرب ان يكون مغتراً بما اجاب به عن تخطئته في تلخيص فلسفة ابن رشد لأن سنده في هذا الجواب ثلاثة امور (احدها) زعمه ان النساخ من العرب كانوا يحذفون من كتب ابن رشد المواضع المهمة او يبدلونها فراراً من الملام والاضطهاد . اي ان اولئك النساخ كانوا علماء بالفلسفة وبعلوم الدين ومكلفين بأن يتصرفوا بما ينقلونه بحسب معارفهم حتى يكون الكتاب مشتملا على فلسفة الناسخ لا فلسفة المؤلف . فاذا خالفوا لامهم من استأجرهم للنسخ او اضطهدهم !!!

ثانيها ان الفيلسوف رنان — الذي نزهته الجامعة عن التعصب والذي علمنا عنه انه كان اشد المتعصبين على الاسلام حتى ان السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ناظراه في باريس وارجعاه عن كثير من خطئه — قال ان العرب اخطأوا في فهم فلسفة اليونان ونقلها . ومنهم ابن رشد .

ثالثها انه « لامناص للكاتب العربي اليوم من اخذ تلك الفلسفة عن الافرنج انفسهم ولا يشترط في هذا الأخذ سوى حسن اختيار المؤلف اي ان يكون ثقة ومنصفاً غير متعصب لفريق دون فريق . وهذا ما توخته الجامعة » اه بنصه

ولاحتمال اغترار الكاتب بهذه المقدمات التي صحح بها قوله نبشره بأنها لا تروج عند احد طلاب العلم لأمور . (احدها) ان العرب قد اعتنوا بأمر النقل والرواية اعتناء لم يسبقهم به سابق ، ولم يلحقهم فيه لاحق ، ومن آثار ذلك انهم نقلوا فلسفة اليونان بغاية الدقة والإتقان ، وقد تعلموا اليونانية ولهم فيها قواميس . وقد اعترف لهم الافرنج المنصفون بذلك وفضلوهم به على انفسهم ومنهم سيديو المؤرخ الشهير .

(ثانيها) ان الافرنج برعوا في علوم التجربة ولكنهم لايوثق بهم في علوم النقل

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

فكتبهم طافحة بالكذب على الاسلام والمسلمين في دينهم وتاريخهم . قال سيديو في مبحث اشتغال العرب بالعلوم الرياضية : « وليس للعرب مجرد نقل كتب اليونان حرفيا كما زعم بعض الافرنج ، ثم ذكرانهم زادوا عليها ما اخترعوه في هذه الفنون. وقال في أول المبحث الذي عقده في عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة ارسطو ما نصه معربا : « زعم الافرنج انه لم يكن فلسفة عربية وما ذاك الا لجهلهم بأشغال العرب فان جميع الدروس بمدارس أوربا في القرون المتوسطة مستمدة من تآليف العرب الفلسفية » الخ وقال غير ذلك بمعناه

(ثالثها) غير معقول ان الذين كانوا يستنسخون الكتب الحكمية كانوا يرضون بأن يغير النساخ فيها وغير معقول ان النساخ كانوا يستطيعون التصرف في تلك الكتب ويعملون بتلك الاستطاعة.

(رابعها) ان ما نقلته الجامعة عن الافرنج غير موثوق به لأن صاحبها غير عالم بالفلسفة فيستطيع نقلها من لغة الى لغة لأنه اذا كان لم يفهم فلسفة المتكلمين بالعربية فكيف يفهم فلسفة ابن رشد واليونان من الفرنسية ؟ ولو فرضنا انه أحسن الفهم فلا يسهل علينا أن نفرض انه حسن القصد لظهور تعصبه على الاسلام والمسلمين . وإصراره على هذا التعصب ومماراته ومكابرته فيه بعد بيان الحق له بالتي هي أحسن . وقد زعم في هذا الجزء ان المسلمين كاليهود والنصارى يعتقدون ان العالم وجد منذ بضعة آلاف من السنين وليس هذا من اعتقاد المسلمين في شيء . فما يدرينا ان كل نقله من هذا القبيل

وأما كلام الجامعة فيما سمته الأمور الجزئية فخبطها فيه الخلط بين الاصطلاحات العلمية ومعاني الكلم اللغوية . وزعمها ان ما قاله الامام في علاقة الانسان بالخالق غير صحيح لأن رنان أفرد فصلا لهذا البحث استعان فيه بكلمات ارسطو اليونانية . وهل يقول عاقل ان قول فلان غير صحيح لأن فلاناً خالفه فيه . وما يدري صاحب الجامعة ان ما قاله الامام هو الصحيح وما قاله رنان هو الخطأ ان صح نقلها عن رنان هذا وان الامام مطلع على ما كتب رنان وغيره من الافرنج وقد كتب ما كتب

(الخاتمة) نشكر في ختام القول للجامعة ولصاحبها هذا التحامل على الاسلام والمسلمين لأنه كان السبب في تصدي ذلك الامام العظيم الى بيان هذه الحقائق التي تحيي الشعور الإسلامي في نفوس المسلمين وتبعثهم الى العمل بما يرشد اليه دينهم

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القويم من الرغبة في العلم والحكمة ، وإعلاء شأن الأمة ، ومعاملة المخالفين بالمحاسنة ، وان ظهروا بمظهر المخاشنة ، وليس في كلام الإمام ، الا برد الهمدون والسلام ، الداعي الى حسن الالتئام ، فلا يخشين الرصيف منه إثارة الخصام ، وان كان هو يحب الموادة ويدعو اليها فليدع الكلام فيما يتعلق بالاسلام ، فانه ليس من موضوعه ولا يعنيه . ولا علم له بظاهره ولا خافيه ، وهذا القدر يكفيه .

جاءنا من الاستاذ الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي بنصه :

﴿ بماذا دفع العلماء نازلة الوباء ﴾

دفعوها يوم الأحد الماضي في الجامع الازهر بقراءة متن البخاري موزعاً كراريس على العلماء وكبار المرشحين للتدريس في نحو ساعة جزياً على عادتهم من اعداد هذا المتن أو السلاح الحربي لكشف الخطوب وتفريج الكروب فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم والأسل وفي الحريق مقام المضخة والماء وفي الهيضة مقام الخيطة الصحية وعقاقير الاطباء وفي البيوت مقام الخفر امو الشرطة وعلى كل حال هو مستنزل الرحمات ومستقر البركات

ولما كان العلماء أهل الذكر والله يقول « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » فقد جئت أسألهم بلسان كثير من المسترشدين عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله أو رأي مستدل عليه لأحد المجتهدين الذين يقلدونهم ان كانوا قد أتوا هذا العمل على انه ديني داخل في دائرة المأمور به . والا فمن أي حذاق الأطباء تلقوه ليتبين الناس منه أو من مؤلفاته عمل تلاوة متن البخاري في درء الهيضة عن الامة وان هذا داخل في نواميس الفطرة أو خارج عنها خارق لها . واذا كان هذا السر العجيب جاء من جهة أن المقروء حديث نبوي فلم خص بهذه المزية مؤلف البخاري ولم لم يجز في هذا موطأ مالك وهو أعلى كعباً وأعرق نسباً واغزر علماً ولا يزال مذهبه حيا مشهوراً . واذا جروا على أن الامر من وراء الاسباب فلم لا يقرؤه العلماء لدفع ألم الجوع كما يقرؤنه لازالة المغص أو القيء والإسهال حتى تذهب شحناء الجراية من صدور كثير من أهل العلم وعلى هذا القياس يقرأ لكل شيء ما دامت العلاقة بين الشيء وسببه مفصومة

فان لم يستطيعوا عزو هذا الدواء الى نطاس الاطباء سألت المسلم منهم بالتاريخ

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

أن يرشدنا الى من سن هذه السنة في الاسلام وهل قرئ البخاري لدفع الوباء قبل هذه المرة فانا نعلم انه قرئ للعرابيين في واقعة التل الكبير فلم يلبثوا أن فشلوا ومزقوا شر ممزق ونعلم انه يقرأ في البيوت لتأمن من الحريق والسرقة ولكن بأجر ليس شيئاً مذكوراً في جانب أجر شركة التأمين المعروفة مع أن الناس يتسابقون اليها تسابقهم على شراء الدواء اذا نزل الداء ويعدلون عن الوقاية التي نحن بصددها وهي تكاد تكون بالمجان ويجدون في نفوسهم اطمئناناً لتلك دون هذه

فان لم يجد العلماء عن هذه المسألة اجابة شافية خشيت كما يخشى العقلاء حملة أهل الاقلام عليهم حملة تسقط الثقة بهم حتى من نفس العامة وحينئذ تقع الفوضى الدينية المتوقعة من ضعف الثقة واتهام العلماء بالتقصير وكون أعمالهم حجة على الدين. هذا — وقد لهج الناس بآراء على أثر الاجتماع الهيضي الازهري .

فمن قائل : ان العلماء المتأخرين من عادتهم أن يهربوا في مثل هذه النوازل من الاخذ بالأسباب والاصطبار على تحملها لمشقتها الشديدة ويلجؤن الى ماوراء الاسباب من خوارق العادات لسهولته ولإيهام العامة انهم مرتبطون بعالم أرقى من هذا العالم المعروف النظام فيكسبون الراحة والاحترام معا فيظهرون على الامة ظهور اجلال ويتملكون قلوبهم ويسيطرون على أرواحهم ولهذا تمكنوا حتى فترت شرة الوباء فقرءوا تميمتهم ليوهموا ان الخطر انما زال ببركة تميمتهم وطالع يمنهم

ومن قائل : انهم يخدعون أنفسهم بمثل هذه الاعمال بدليل ان من يصاب منهم لا يعالج مرضه بقراءة كراسة من ذلك الكتاب بل يعمد الى المجربات من النعنع والخل وماء البصل وما شابه أو يلجأ الى الطبيب ولا تلتفت نفسه الى الكراسة التي يعالج بها الامة فهذا يدل على ان القوم يعملون على خلاف مافي وجدانهم لهذه الأمة خادعين أنفسهم بتسليم اعمال سلفهم.

ومن قائل : ان عدوا من أعداء الدين الاسلامي أراد أن يشكك المسلمين فيه فدخل عليهم من جهة تعظيمه فاوحى الى قوم من متعاليه السابقين أن يعظموا من شأنه ويرفعوا من قدره حتى يجعلوه فوق ماجاءت له الاديان فيدعون كشف نوائب الايام بتلاوة أحاديث خير الأنام ويروجون مايقولون بأنه مجرب وأن من شك فيه فقد طعن في مقام النبوة حتى اذا رسخت هذه العقيدة في الناس وصارت ملكة دينية راسخة عند العوام وجربوها فلم تفلح وقعوا والعياذ بالله في الشك واصابهم دوار الحيرة كما حصل ذلك على أثر واقعة التل الكبير من كثير من الذين لم يتذوقوا الدين من المسلمين حتى كانوا يسألون عن قوة البخاري الحربية ونسبته الى البوارج ساخرين

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

منه ومن قارئيه ولولا وقوف أهل الفكر منهم على أن هذا العمل ليس من الدين وأن القرآن يقول: «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» الخ لضلوا وأضلوا

وقد جرأ هذا الامر غير المسلمين على الخوض في الدين الاسلامي واقامة الحجة على المسلمين من عمل علمائهم ولا حول ولا قوة الا بالله

ويقول قوم: ان التقليد بلغ بالعلماء مبلغاً حرم على العقول النظر في عمل السلف وان كذبته العيان. وخالف الحس والوجدان، ويقول آخرون ممن لا خبرة لهم بهمة العلماء في مثل هذه الكوارث: أما كان ينبغي لهم أن ينبثوا في المساجد والاندية والولائم حاثين الناس على الوقاية من العدوى معضدين الحكومة في تسكين سورة الاهلين مفاوضين في الصحة في فتح المساجد وتعهدها بالنظافة فان هذا يرتبط بهم أكثر مما يرتبط بوفد أعيان القاهرة جزاه الله خير الجزاء

فان أعوزهم البيان وخلب القلوب بذلاقة اللسان فلا أقل من أن يؤلفوا رسالة في فهم ما ورد متشابهاً في موضوع العدوى حتى يعلم الناس ان الوقاية من الداء مأمور بها شرعا وعقلا وسياسة فيكون كل فرد عارف عضداً للحكومة ولو طلبوا من الصحة طبع ما ألفوا وتوزيعه على المصالح والنواحي للبث ذلك شاكرة وكان لهم الأثر النافع

هذا ما يقوله القوم في شأن علمائهم نرفعه اليهم ليكونوا على بينة منه لانهم لا يختلطون بالناس غالباً الا في الولائم والمآتم وان اختلطوا فقلما يناقشونهم في شيء تحرزا من حدتهم في المناقشة ورميهم مناظرهم لاول وهلة بالزيغ والزندقة فلذلك يجاملونهم ويوافقونهم خشية الهجر والمعاندة. أما أنا فاني لا أزال الح في طلب الجواب الشافي عن أصل دفع الوباء بقراءة الحديث وعن منح متن البخاري مزية لم يمنحها كتاب الله الذي نعتقد انه متعبد بتلاوته دون الحديث ولو كان هذا العمل من غير العلماء الرسميين اضربت عنهم وعن عملهم صفحاً ولما خططت كلمة ولكنه من علماء لهم مراكز رسمية يزاحمون بها مراكز الامراء فيجب أن يؤبه لهم وان ينظر لعملهم بازاء مركزهم من الأمة التي يسألون عنها والله ولي التوفيق (منتصح)

باب الاخبار والآراء

الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية

قد نشرنا من هذا الكتاب مقالين أحدهما اضطهاد النصرانية للعلم بمقتضى

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

أصولها نشر في الجزء الحادي عشر الماضي واقتبسته جريدة المؤيد . وثانيهما أصول الاسلام القاضية بالتساح مع العالم أينما وجد واكرام العلماء من أي ملة كانوا نشر في هذا الجزء . ويلي هذا مقال آخر في نتائج هذه الأصول الاسلامية المذكورة في هذا الجزء وآثارها في ترقية العلم والعمران . وايجاد مدنية فاضلة للانسان ، وسينشر في الجزء الآتي مؤيداً بالشواهد التاريخية ، وشهادات المؤرخين والفلاسفة من الأمم الأوربية ، ويتبع هذا مقال رابع في شرح حالة المسلمين في هذا العصر ، وما نكبوا به في كل قطر . ويختم الكلام بمقال خامس في كيفية معالجة الداء ، وبيان النجاة من البلاء ، بحسب رأي هذا الطبيب الروحاني ، والامام الرباني ، لازال ذخراً للاسلام ، ومرشد للأنام ، وسينشر ذلك تباعاً في المنار وربما وفقنا للتعجيل ببعض الاجزاء واصدارها قبل وقتها اكراماً للقراء ، فقد رأينا منهم اقبالاً على ما نُشر واعجاباً به لم نر ما يشابهه الا اعجابهم بالرد على موسيو هانوتو . ولا غرو فهذه الحكم متدفقة من ينبوع واحد ، لا ينكره مكابر ولا حاسد .

﴿ عبرة وتنبيه في موت وجيه ﴾

كتب الينا من بومباي (الهند) انه توفي فيها « حسني بك نائب سفير الدولة العلية » فيها فاحتفل المسلمون بتشييعه احتفالاً عاماً وغلقوا الدكاكين وتركوا جميع الأعمال عامة يومهم . وسيرسلون كتاباً يعزون به أهله في الآستانة العلية

والاعتبار في الخبر من وجوه — أحدها شدة تعلق مسلمي الهند بالدولة العلية ، لأنها أقوى الدول الاسلامية ، وهذا أثر من آثار هداية الاسلام الذي من مقاصده جعل البشر كلهم إخوة . ولو وجد في الهند مثلما يوجد في مصر من أحداث السياسة وخطباء الفتنة الذين يحثون قومهم على بغض كل من لم يكن له نسب عريق في بلادهم ويسمُّون هذا وطنية لما بقي لحب الدولة العلية في قلوبهم عرق ينبض ، ولا لحقوق المسلمين حكم بفرض ، (وثانيها) ان آمال المسلمين لا تزال معلقة بالسياسة ورجالها ، والحكومات وأعمالها ، وليتهم ينظرون أولاً الى انفسهم وأعمالهم ، ويعتمدوا بعد الله على كفاءتها واستقلالهم . (وثالثها) حرية الحكومة الانكليزية فلو ان أهل جاوه ارادوا أن يعملوا عملاً كهذا لتصدت لهم الحكومة الهولندية وصدتهم عنه . فياليت المسلمين الذين هب عليهم نسيم الحرية المنعش للأرواح يعرفون كيف تكون به الحياة الطيبة ويعملون بما يعلمون ولا يحفلون بما يلغط به الغاشون الذين يقبحون لهم نعمة الحرية بذم مصدرها

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

﴿ السيد محمد المهدي السنوسي ﴾

نعت الينا برقيات اوربا في الشهر الماضي هذا الرجل العظيم الذي اشتهر بالعلم والعمل والدعوة الى الله تعالى والارشاد الى طريق الرشاد فارتبنا في صحة الخبر وربصنا به التكذيب فما كان الا أن أكدته الجرائد الغربية تأكيداً وتبعها غيرها .

وقد اطلعنا اليوم قبل طبع على كتاب من طرابلس الغرب لأحد التجار جاء فيه مانصه :

« وردت مكاتيب مشعرة بوفاة الاستاذ المهدي وبالتحقيق لم يثبت ذلك الى الآن أصلا بالكلية بل المتحقق انه انتقل الى جهة من الجهات مجهولة »

« محاربة الفرنساويين بالاقطار السودانية لم نحصل على خبر منها الى الآن وقد كان في تلك المحاربة رجل من الجزائر أتى الى قسطنطينة احدى الممالك الجزائرية وأرسل الينا جواباً يفيد انه قادم الى طرفنا وعند وصوله نفهم منه حقيقة الواقع تفصيلا واجمالا وما الذي سيصنعه الفرنساويون بخصوص ما ذكر ونعرفكم بذلك والسلام » اه

وسيأتي البحث في ذلك وقول من يكذب خبر المحاربة فيما ننشره من ترجمته

(الترجمة) جمع هذا الرجل من الصفات والخلال ، مايندر أن يكون لأحد من الرجال ، — الشرف والعلم والزهد والارشاد وسيادة المعصية فهو الرجل الديني الوحيد الذي كانت تلهج بذكره الجرائد الأوربية وتستقري أعماله وتتبع حركاته وسكناته وتبني عليها الآراء السياسية بل كان على زهده وانزوائه في زاويته أشبه بملك عظيم أو قائد باسل مستعد لكفاح الاقران ، وفتوح البلدان . وكان الناس في أوربا وفي الشرق مختلفين في أمره ، وهائمين في أودية الظنون من شأنه ، والاكثرون يعتقدون أن طريقته جامعة بين الدين والسياسة ومن أصولها الاستعداد للمدافعة والمقارعة عند الحاجة الى ذلك . واشتهر بين الناس في هذه البلاد وغيرها ان أتباعه كانوا يعتقدون أنه المهدي المنتظر . وقد عرفت أحد دراويشه الصالحين من صحراء طرابلس الغرب واستفدت منه فوائد كثيرة عن السنوسيين فكان مما قاله انهم يعتقدون ان شيخهم هو المهدي المنتظر وانه سيحج ويبايع في حرم مكة أو في عرفة « الشك مني » وقال : اذا ذهب سيدي المهدي الى الحجاز فلا يتخلف احد من المغاربة عن الحج في تلك السنة الا لعجز مقعد . وكان يقول أيضاً : ان من اصول الطريقة احياء الارض وغرس الاشجار واقتناء السلاح . ونحن نعلم ان للسنوسيين اتباعاً في مصر يكتمون كل ما يعرفون من امرها بل يكتمون في الغالب كونهم من اهلها

مثل هذه الأخبار وذلك الاختبار ، هو الذي أثار في النفوس عندنا ما أثار .

إهداء من شبكة الألوكة www.alukah.net

وأما الاوربيون فمشتوهامهم وأحلامهم في السنوسيين جرائد فرنسا وكتبها (راجع صفحة ١٧٨ وما بعدها من مجلد المنار الأول تجد فيه القول التي تؤيد هذا) . وقد بلغنا أن الحكومة الفرنسوية قد خصصت مئة ألف فرنك في كل سنة لمقاومة سلطة أصحاب الطريق في الجزائر وما يليها ويتصل بها وان الذين يأخذون هذا المال هم الذين كانوا يعظمون أمر التيجانية ثم صاروا يعظمون أمر السنوسية بما يكتبونه في الجرائد والكتب والله اعلم بالحقيقة . وانما غرضنا من هذه الجملة كلها بيان اختلاف الناس في امر السنوسية وعذرهم في هذا الاختلاف

وقد كتب في جريدة (الحاضرة) التونسية مقالة بتوقيع (محمد الحشايشي) في بيان الطريقة السنوسية وترجمة صاحبها . قال الكاتب انه كتب عن علم وروية لأنه ساح في الصحراء الكبرى وما جاورها من البلاد المجهولة واختبر السنوسيين الاختبار التام وكتب في ذلك رحلة سماها الرحلة الصحراوية . ونلخص من مقالته المفيد لأنها اوسع ما كتبه المسلمون في هذا الرجل الكبير فنقول

ساق أولا نسبه الى سيدي ادريس بن عبدالاله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي من فاطمة الزهراء عليهم السلام . ثم قال ان صاحب الترجمة من مدينة مستغانم بعمالة وهران (التابعة للجزائر) من قبيلة الخطاطبة . ارتحل والده الى مدينة فاس في سنة ١٢٢٩ بعد أن حفظ القرآن بالروايات السبع وكان ابن عمار فاجتمع بالشيخ أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية الشهير وتلقى هنالك العلوم حتى برز فيها ثم ارتحل الى المشرق سنة ١٢٤٥ قاصداً أداء فريضة الحج . وظهرت له كرامات عديدة في طريقه فأقام بمكة المشرفة سنين عديدة ونشر في أثنائها طريقته المستمدة من نفس الطريقة المحمدية التي أخذ اجازتها عن سيدي أحمد بن ادريس . فانتشرت الطريقة في الحجاز واليمن الى ان بلغت العراق وفي سنة ١٢٥٩ انتقل الى الجبل الأخضر من وطن درنه وبنغازي (من ولاية طرابلس الغرب) وتصدى للارشاد . وولد له صاحب الترجمة سنة ١٢٦٠ بالزاوية البيضاء فرباه التربية الدينية في مهد العلم والارشاد . حفظ القرآن في الثامنة ثم حفظ الكثير من المتون الفقهية وغيرها واشتغل بطلب العلم على الاستاذ الحافظ الشيخ أحمد الريفي بعد ما قرأ القرآن على مؤدبه الشيخ هاشم الصفاقسي والحافظ الشيخ مدين وأخذ علمي النحو والتصوف عن والده وعلوم الادب عن الشاعر الأديب الشيخ محمد أبو سيف وعلمي الحديث والأصول عن الشيخ احمد الريفي . وجميع هؤلاء من علماء المغرب بعضهم من الاقصى وبعضهم من الادنى

« لها بقية »